



# المعلم يعقوب

## بين الأسطورة والحقيقة



د. أحمد حسين الصاوي

رفع بعض الباحثين "المعلم" يعقوب إلى مصاف الأبطال الوطنيين. وفي هذا الكتاب "المعلم يعقوب بين الأسطورة والحقيقة" تختلف الصورة تمامًا. يتناول الكتاب سيرة "الجنرال" يعقوب منذ نشأته، معتمداً على عدد وفير من المراجع والوثائق ومركّزاً على صلته بالحملة الفرنسية، حيث اختار منذ البداية لنفسه نهجاً واضحاً لم يجد عنه، إذ ربط نفسه بالحملة ومصالحها واختار أن يرحل مع قواتها بعد أن تهاوت أحلام قادتها ومُنيت مشروعاتهم في استعمار مصر بأكملها.

الغلاف: د. خالد سرور



[www.gocp.gov.eg](http://www.gocp.gov.eg)  
[www.qatralnada.com.eg](http://www.qatralnada.com.eg)  
[www.alhaqafahalgadidah.com.eg](http://www.alhaqafahalgadidah.com.eg)

الشمس • جندب

سلسلة لغتي يفتقر كتب مختارة لتعبر عن تاريخ مصر الثقافي والوجداني

تعمیرات

الهيئة العامة للعلوم والثقافة

رئيس مجلس الادارة

د. احمد مجاهد

أهين عام النشر

سعد عبد الرحمن

الإشراف العام

جمال العسکری

الأشرف القضي

د. حماد سبيرو

● 2017年12月1日

## بين الأسطورة والحقيقة

• د. أحمد حسين الخطاوي

الصلابة والليونة

الهيئة العامة للغذاء والدواء

القاهره 1906 م

۱۹۸۵-۱۹۸۶

— ١١٥ —

٢٠٠٩/٢٢٩٧٧. ج ١، ص ١٠٠

**\* ترجمہ فتاویٰ :**

## المراسلات

باسم / محمد التَّحْرِيْر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فَوَجَدَ فِيهِ نَارًا فَلْيَقْبَلْهَا» [صحيح البخاري، ٥٨].

مستحقين فاعملوا لعلكم تكونوا

صاحبة : رقية بيريدي 454

279-17921: رداختی، (۱۳۸۰)

● **الحاجب عند التنفيذ**

حرفهء لا ٻيل لفظيها ٻيل لفظي

2490409d: 0

● شعبة التصريف ●

وفيس التحرير

اسماءہ شریفی

مدير التحرير

طیارق ہاشم

سكوتير التحرير

محمّد المخراني

الأداء التوردي في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الهيئة

بل تعبير عن رأى وتوجه المؤلف في النظام الاول.

• حقوق النشر والحياسة بحكم فلة الهيئة العامة لتصور النفاذ

١٦٤٠ و ١٦٤١ هـ : وقفاً على الخزانة العامة في القاهرة

[illegible]

وزارة الثقافة



## المعلم يعقوب

## بين الأسطورة والحقيقة

د. أحمد حسين الصاوي

المعلم يعقوب

بين الأسطورة والحقيقة

تقديم

الكبير د. أحمد حسين الصاوي . . . والذي ألفه في منتصف الثمانينات للرد على تلك المقولات الزائفة خاصة أن الرجل اعتمد على كثير من الوثائق الإنجليزية والفرنسية التي كشفت دوره منذ ما قبل الاحتلال بل وتعاونه مع المماليك ضد أبناء جلدته المصريين من مسلمين وأقباط، وموقف الكنيسة المصرية الوطني من الاحتلال الفرنسي، وموقفها منه شخصيا منذ تعاونه مع المماليك وحتى تعاونه مع الفرنسيين وخروجه معهم مهاجرا إلى فرنسا بطلب شخصي منه حتى لا يفتك به أبناء وطنه جزاء خيانتهم لهم.

ورغم أهمية كتاب الدكتور الصاوي إلا أنه لم يستطع أن ينشره بعد تأليفه، وطبع طبعة محدودة نفدت في حينها، وأصبح الحصول على نسخة منه أمرا مستحيلا، ولقد أعاد الراحل الكبير رجاء النقاش الاعتبار للكتاب وكتابه عندما اعتمد عليه في تنفيذ رأي الرئيس عوض عن المعلم يعقوب . . . ونتيجة لما كتب رجاء النقاش عن كتاب الدكتور الصاوي بدأ المثقفون يبحثون عنه في المكتبات بلا جدوى. واقترحت على عبنا رجاء النقاش أن يعيد نشره في سلسلة ذاكرة الكتابة التي تصدر عن هيئة قصور الثقافة وكان يرأس تحريرها . فقال لي ضاحكا يرحم الله . . . إنها في دائرة تخصص سلسلة ذاكرة الوطن . ومنذ هذه المكالمة وأنا أعتبر أن إعادة إصدار هذا الكتاب إحدى وصايا أستاذنا رجاء النقاش قبل رحيله مباشرة فضلا عن كونه إعادة اعتبار لأستاذ الأساتذة د. أحمد حسين الصاوي الذي لم يعيد يذكره أحد . . . رغم أنه رائد من رواد الإعلام

ورغم إجماع مؤرخي التاريخ المصري الحديث على 'خيانتته' لتعاونه مع المحتل، ورغم أن وثائق المحتل تُفسد قد كشفت دوره في التآمر على المقاومة الشعبية خلال ثورتَي القاهرة الأولى والثانية، إلا أن 'المعلم يعقوب' قائد ما سمي بـ 'الفيلق القبطي' التابع لجيش نابليون مازال محور جدل ونقاش . . . فالبعض حاول ويحاول أن يصوره للأجيال الجديدة كرائد للتحرير، وكثائر على الظلم العثماني والمملوكي، وأنه صاحب رؤية ونظرية ترى إمكانية التحالف مع الفرنسيين لإدخال الديمقراطية والعدالة في المجتمع العربي . . . ورفع الظلم عن كاهل الإنسان المصري !! مع أن الحقيقة غير ذلك تماما، وفي محاولة لوضع الأمور في نصابها الحقيقي وإظهار الحقيقة حقاظا على ذاكرتنا من التشويش الذي تستهدفه جهات عديدة لأغراض ليست وطنية . . . تعيد نشر هذا الكتاب للعالم الراحل

الكنيسة للمعلم يعقوب من النناول لأنه خرج عن تعاليم الكنيسة، واتخذ له "جارية" غير زوجته تشبها بالمماليك . . . فضلا عن الشكاوي التي كانت تود إلى الكنيسة من رعاياها الأقباط في الصعيد من سوء معاملته . . . يتفرد أيضا 'روفيله' بموقف الكنيسة الوطني الواضح منه بعد تشكيله للفيلق القبطي بأوامر من نابليون، واعتبار الكنيسة أن ذلك الموقف تعاون مع ممثل 'الكاثوليكية' - نابليون - والذي ترى الكنيسة أنه خروج واضح عن تعاليمها. الكتاب الذي بين أيدينا يناقش بشكل علمي يعتمد على الوثائق العربية والأجنبية ليحسم بشكل لا يقبل الجدل حقيقة 'المعلم يعقوب' الذي يريد البعض الآن أن ينصبه 'ثانوا وتنويريا' في محاولة لطمس الذاكرة الوطنية، وإشاعة مفاهيم غير وطنية منها أن التعاون مع العدو ممكنا بل إن 'الخيانة' نفسها يمكن أن تكون وجهة نظر .

#### أسامة عفيفي

ومؤسس لأغلب أقسام الإعلام في الوطن العربي . فضلا عن دوره في التاريخ للطباعة والصحافة . .

وترجع أهمية كتاب الدكتور الصاوي 'المعلم يعقوب بين الأمطورة واخفيقة' إلى أن الرجل أراد أن يقدم بشكل علمي الحقائق كما هي . وسعى لتمحيص الآراء المختلفة من خلال الوثائق والمراجع والشهادات وخروج بمجموعة من الحقائق الهامة التي أرى أن أهمها توضيح موقف الكنيسة القبطية المصري الوطني من الاحتلال الفرنسي، وأن تسمية جيش يعقوب باسم 'الفيلق القبطي' كان الغرض منه إثارة الفتنة الطائفية في حين أن الكتاب يكشف لنا بالوثائق أن هذا الفيلق كان يهزم مجرمين سابقين من المسلمين والمتركة من خارج البلاد من أومن وأتراك، وأنه ضم على حد تعبير الجبرتي الذعر والحرافيش من المنسر إلى جانب شزار النصارى الوافدين، ولفظ 'النصارى' في الأدبيات التاريخية يعني 'المسيحيين غير المصريين' فالمسيحيين المصريين كان يطلق عليهم مصطلح 'الأقباط'، بل إن الدكتور الصاوي يكشف لنا في كتابه الهام عن دور 'المعلم يعقوب' في العمل مع المماليك في جمع الضرائب والحزبة من الفلاحين الأقباط في الصعيد، وغلظته وشراسه في التعامل مع الفلاحين المصريين سواء كانوا مسلمين أم أقباط، ولقد اعتمد الدكتور الصاوي على مرجع قبطي هام هو 'تاريخ الأمة القبطية' ليعقوب نخلة روفيله الذي أفرد فصلا خاصا لعلاقة 'المعلم يعقوب' بالمماليك ثم الفرنسيين، ولقد تفرد 'روفيله' بخبر حرمان

في بناء الوطن والعمل على استقلاله ورفعته وتقدمه ، وبالقدر نفسه  
نلفظ منهم كل من انحرف عن الطريق أو أساء إلى قومه وبلاده .

د/أحمد حسين الصاوى

## مقدمة

هذه دراسة لصفحة من تاريخ مصر ، تعرضها بكل موضوعية  
وبنظرة علمية مجردة تتخطى حدود أية حساسيات ، ونرجو أن يقبلها  
القارئ برحابة صدر ودون ما حساسيات كذلك . فهدف الدراسة  
هو جلاء الحقيقة ، والحقيقة وحدها . ولا فرق أمام الحقيقة وأمام  
التاريخ بين مسلم ومسيحي .

لقد كانت الحملة الفرنسية على مصر غزواً له سماته المتميزة . وإذا  
كان الفرنسيون قد فشلوا في امتلاك مصر أو في إعادة تشكيل هيكلها  
السياسي والاجتماعي، فالذى لاشك فيه أن حكمهم لمصر ثلاث سنوات  
كان في حد ذاته هزة عنيفة أحدثت نتائج بعيدة المدى قوية الأثر في حياة  
مصر وبنيتها السياسية والاجتماعية . ولعل من أسوأ نتائج هذه الحملة  
ما أوشكت أن تحدث من شروخ في جنب الأمة وروحها .

فتحت مصر بعد الحملة صفحة جديدة في تاريخها واستأنفت  
مسيرها بما وعته من دروس ، أمة واحدة . وبني الشعب المصرى  
بمسلميه وأقباطه دولته الحديثة . ونحن أبناء هذا العصر نفخر جميعاً ونعتز  
بأبطالنا وأفذاذنا من هؤلاء وأولئك ، الذين أسهموا بكل إخلاص وتجرد

أحكامهم بين الأبيض الناصع والأسود اللغام عبر مختلف درجات الرمادية ، واجبه أن يكون حكما عدلا ، فيبحث ويناقش ويحلل ويستجبع بعقل متجرد ومنطق واضح ومنهج سليم . وليس هذا بالأمر الهين وإنما هو مهمة ثقيلة محفوفة باغلاذير حاذلة بالمشقة بفضل عما تسم به أحيانا من حساسيات . وسوف أحاول في هذه الدراسة بمناقشة كل ما كتب عن الجنرال يعقوب ، وما أمكن العثور عليه من وثائق تتصل بحياته ، وباستقراء الظروف والملابسات التي نشأ وعاش في ظلها والأحداث التي تفاعل معها ، أن أستخلص ملامح صورته الحقيقية دون ما مبالغة أو تضخيم ، ودون ما « رتوش » أو ظلال . وهو قبل كل شيء مواطن مصري برز على مسرح الأحداث خلال فترة بالغة الأهمية في تاريخ مصر الحديث . ولا يكاد الجيل الحالي من المواطنين يعلم عنه شيئا . والقلّة القليلة التي تعلم تختلف أو تتخبط في الحكم عليه ، فيما لنا تأثرت به من كتابات تتراوح بين ذروة الإشادة وحضيض التجريم .

## تعقيب

المعلم يعقوب أو الجنرال يعقوب ... شخصية مصرية تصلح لبناء قصة درامية مثيرة . كتب عنه عدد من المؤرخين ، ولكنهم على قلتهم اختلفوا فيه أيما اختلاف : منهم من هاجمه بعنف وضراوة واعتبره خائنا لقومه وبلاده ، مثل مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتي . ومنهم من اكتفى بأن سجل نشأته وسرد مختلف مراحل حياته ، وإن لم يحل ذلك من محاولة تصويره في صورة زعيم مرموق من زعماء طائفته ، مثل بعض مؤرخي الأقباط . ومنهم كذلك من وقف موقف المؤرخ المدقق فناقش في اجتهاد ملحوظ بعض الوثائق التي نسبت إلى يعقوب من الأمور الخطيرة في آخر أيام حياته ما لم يعرف عنه في حياته ، مثل أستاذنا شفيق غريال . ثم جاء أخيرا من مضى خطوة أبعد ، فرفع يعقوب إلى مصاف الأبطال الوطنيين مثل الدكتور لويس عوض .

إن الاختلاف الرأي التام بيني حول شخصية عامة لهو من الأمور الشائعة التي ألفناها ، سواء فيما يتصل بشخصيات تاريخنا أو تاريخ غيرها . فكيف نكتنه الحقيقة ؟ إن واجب المؤرخ الصادق بعد أن يلتمس مدى تفرق السبل بين سبقه من المؤرخين في هذا العدد ، وتفاوت

والتقاليد الخاصة التي أملت عليها الاعتبارات الإسلامية ، و « العثمانية » ، فقد عاش الأقباط أفراداً وجماعات جنباً إلى جنب مع مواطنيهم المسلمين في ونام ، يمارسون مثلهم شتى الأنشطة من زراعة وتجارة وحرف مختلفة ويشاركونهم عديداً من النماذج الاجتماعية وبخاصة تلك المتوارثة من قبل دخول المسيحية والإسلام إلى مصر ، منتقلة في الأعياد والاحتفالات المصرية الأصلية كوقاء النيل وشم النسيم . بل بلغ الأمر في هذا الصدد أن اختلطت أحياناً بعض المناسبات فأرادت ثياباً إسلامية مسيحية مشتركة فوق ثيابها المصرية القديمة ، وشارك فيها الجميع في حماس وشعور عميق بالانتماء إلى تراث مشترك .

ومن الامانة التاريخية هنا أن نشير إلى أن هذا التعايش السلمى عميق الجذور تعرض أحياناً قليلة إلى بعض الشروخ السطحية ، نتيجة احتكاكات طفيفة أملاها الجهل والتعصب . وهى حالات نادرة محدودة النطاق ، ولا يمكن أن نقاس إلى مثيلاتها في أوروبا أو آسيا في تلك الأيام .

وبالإضافة إلى ذلك فقد توارث الأقباط حرفاً ومهناً معينة حذقوها وبرعوا فيها وتعمقوا أسرارها ، وأصبحت حكراً لهم ووفقاً عليهم ، لم يحاول مواطنوهم المسلمون أن يشاركوهم إياها ولا أن يتنافسوا في مجالاتها . وكان على رأس ما حلقه الأقباط وبرعوا فيه مهنة الصيرفة وما يتصل بها من حساب الأموال عدداً وجباًة وتحويلاً وخصماً وإضافة ... الخ . ومن ثم اعتمد عليهم الأفراد والجماعات في عمليات الصيرفة والحساب اعتماداً تاماً . فلكل تاجر أو مملوك أو ناظر وقف « محاسب » قيطى « يحسب دقاته » الدخول والمصرف ويحسب الخرج والمستحق . وقبل هؤلاء كان المسئولون من « الكشاف » و « المحاسبين » و « الملتزمين » يهتدون إلى المحاسبين الأقباط بهذه الأعمال فيما يتصل بالأموال العامة للولاية . وكانت علاقة هؤلاء المحاسبين بمن يعملون لهم هى الأخرى علاقة حميمة تحكمها المصلحة المتبادلة أولاً ،

## أقباط مصر

كان أقباط مصر إبان العصر العثمانى يمثلون أقلية متميزة تعيش في نطاق أوضاع وتقاليد شكلية خاصة مثل الترتيب بزي معين ، أو اتخاذ لون معين للعمامة . وقد رسمت هذه الشكليات عبر القرون منذ أصبحت مصر قطراً إسلامياً ، وتؤكدت بعد أن صارت مصر ولاية عثمانية تخضع روحياً وزمناً لسلطان خليفة المسلمين في استانبول ، ويحكم استقرارها نظام فريد يقوم على لون من توازن القوى بين الوالى والماليك وقوات الجيش العثمانى ( الأنكشارية ) .

ولم يكن فرض تقاليد معينة أو أوضاع خاصة على أقلية من الأقليات — دون ما دخول في التفاصيل — بدعاً أو أمراً غير مألوف في تلك الأيام . فقد كان ذلك سمة من سمات مختلف الأنظمة التي حكمت مجتمعات العصور الوسطى شرقاً وغرباً ، في ديار الإسلام وفي غير ديار الإسلام . وقد اتسع نطاق تلك الأوضاع والتقاليد ليضم مع الأقباط نصارى الشام والأروام ( اليونانيين ) بجامع المسيحية في كل .

ولم تعيش طائفة الأقباط بطبيعة الحال منعزلة أو مقطوعة الصلة بسائر طوائف المجتمع المصرى وطبقاته . فبغض النظر عن تلك الأوضاع



وكان من المنطقي كذلك أن يرحب الفرنسيون بتعاطف الأقباط معهم ، وبخاصة بعد أن لمسوا عدم ترحيب سائر المصريين بهم أو تصديقهم لما أذاعوه من ادعاءات . فأخذوا منذ استقرار الأمر لهم في القاهرة يستعينون بالأقباط لتسيير مهمة قواتهم الزاحفة لإتمام احتلال البلاد ، وللمساعدة للجهاز الإداري على تدبير شؤون الحملة وتحقيق الاستقرار لنظام الحكم والحكومين على السواء .

وكان من المنطقي أيضا أن يمتز هؤلاء الأقباط ومن ظاهريهم في مرقفهم من نصارى الشام والأروام بما حققوا من مكانة لدى الحاكم الخديف ، فيحاولوا أن يترعوا عنهم ثوب المهانة الاجتماعية ، فيحتلوا من تلك القيود الشبكية التي فرضت عليهم قرونا ، ويألفوا في ذلك أحيانا بما يؤدي مشاعر المسلمين . ويسرد الجبرق من حوادث شهر شعبان سنة ١٢١٣ ( عقب دخول الفرنسيين ) ... ومنها ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود وركوبهم الخيل وتقلدهم بالسيف بسبب خدمتهم للفرنسيين ومشيهم الخيلاء وتجاهرهم بفاحش القول واستدلالهم المسلمين ، كل ذلك بما كسبت أيديهم ... (١) ولكن يبدو أن الأمر في هذا الصدد قد جاوز حدوده المعقولة ، ففي شهر رمضان التالي ، وهو شهر له مكانته الخاصة في نفوس المسلمين ، حال الفرنسيون دون تدهور العلاقات بين الفريقين بمنع الطوائف المسيحية من تحدى مشاعر المسلمين . ويقول الجبرق : ثم إن نصارى الشوام رجعوا إلى عاداتهم القديمة في لبس المعامم السود والزوق وتركوا لبس المعامم البيض والشلال الكشميري الملونة والمشجرات ، وذلك بمنع الفرنسيين لهم من ذلك . ونهبوا أيضا بالناداة في أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عاداتهم مع المسلمين أولا ، ولا يتجاهرون بالأكل والشرب في الأسواق ولا يشربون الدخان ولا شيئا من ذلك بترأى منهم ، كل ذلك للاستجلاب لخواطر الرعية ، (٢) .

وإن كانت لا تقتصر إلى الوثام .

وقد حتى الخاسرون الأقباط من مهتهم أموالا طائلة ، وبخاصة من كان منهم يعمل مع كبار المولين ، أصحاب الإنطاقيات الشاسعة والفروات الضخمة والخيرات الوفيرة التي تبيع أوسع الفرص للكسب المشروع وغير المشروع .

وتفحصت ثروات بعض الأقباط قصاروا من كبار الأغنياء المعروفين الذين يكونون مع غيرهم من أغنياء التجار والعلماء ومن إليهم طبقة اجتماعية واحدة ، لها امتيازاتها ومصالحها ولها نمط حياتها الخاص . فتشيدوا مثل غيرهم من الأغنياء أفخم الدور والقصور ، وفرشوها بكل نعال وكفن ، وملكوا العبيد والجوارى ، وأحاطوا أنفسهم بالخدم والحشم والخراس وبكل مظاهر الحياة المرغلة المترفة الناعمة .

وبينا كانت القاعدة العريضة من الطائفة القبطية تتعايش مع القاعدة العريضة من المسلمين تعايشا سلميا كاملا في قرى مصر ومدنها ، كان متوررو الطائفة وأغنيائها أكثر إحساسا أو حساسية بفردهم أو اغترابهم من حيث هم أقلية مسيحية صغيرة تعيش وسط مجتمع إسلامي كبير ، وتحكمها قيود وأوضاع اجتماعية خاصة .

الفرسية مع من عمل في خدمتهم من المماليك ، وساعده على ذلك ما اشتهر عنه من نزوع إلى القتال والنزال . وقد حارب يعقوب بالفعل في صف المماليك ضد قوات القبطان حسن باشا التي نزلت إلى مصر لتثبيت الحكم العثماني قبل قدوم الحملة الفرنسية بفترة قصيرة ( شكل ( ١ )

ويقول من أروخوا ليعقوب من أبناء ملائفته : إن معاصريه منهم أحسوا بالاختلافه عنهم ، وأثبتوا عليه شفوذه عن مألوفهم <sup>(٣)</sup> . وقد تبدي ذلك في بعض مظاهر عيائه ، فقد خالف أبناء قومه في الزي والحركات ، كما اتخذ له امرأة من غير جنسه بطريقة غير شرعية ( كانت سورية من حلب ) . ولم يكن رجال الدين واهين عن غروره وخروج تصرفاته معهم ومع الكيسة عما تتبنى مراعاته من الأصول والتقاليد . وقد نصحه بطريك الأقباط نفسه عدة مرات بالعدل عن خطئه وبأن يعيش كسائر إخوانه ، ولكنه رفض النصيحة .

هذا هو « المعلم يعقوب » الذي كان في الثالثة والخمسين من عمره عندما غزت الحملة الفرنسية مصر بقيادة الجنرال بوناپرت . وقد بلغ شأوا بعيدا في قومه ، فكان من كبار الأثرياء ومن زعماء الطائفة الميزين في مجتمع القاهرة وأقاليم الصعيد على السواء .

فكيف بدأت حركة التعاون بين القبط والفرنسيين ، وكيف تطورت ؟

يقول جورج ريجو (G. Rigault) في كتابه : الجنرال عبد الله منو « أنه كان على بوناپرت وهو يرأس جهاز الحكم في مصر أن يضمن الوجود المادي للجيش الفرنسي . ولكن بما أن الأقدار قد ألقت به إلى بلد غير متحضر ، فلم تكن لديه أية وسيلة يستطيع بها أن يعرف حصيلة الإيرادات أو ينظم جباية الضرائب . ولكن كان أمامه الأقباط . فمن قبل الحملة كان المماليك دائما يعهدون إلى هؤلاء المسيحيين

وينبغي أن نلاحظ أن استعانة الفرنسيين بالأقباط في الأمور المالية بالذات كانت ضرورة حتمتها حجرة هؤلاء الطويلة السابقة ، واحتكارهم لكل المعلومات المتعلقة بهذا الشأن . أي أن لإرادة الطرفين التقت عند غاية واحدة هي التعاون بينهما لما فيه مصلحة النظام الجديد .

وقد دعم من هذا التقارب أن الحملة الفرنسية ، شأنها شأن سائر حملات الغزو الاستعماري وموجاته قديما وحديثا وبالرغم مما رفعت من شعارات وما أذاعته من غمويات ، وجدت في سياسة التفريق بين الطوائف واحتضان الأقليات ما يعينها على تثبيت أقدامها وتحقيق أهدافها .

ولكن المستعمر من ناحية أخرى قد يفرى بالتعاون معه أحيانا بعض ضعاف النفوس أو ضعاف الانتباه من غير أبناء الأقليات ، ممن لا يفرق سوى تحقيق مصالحهم المادية القريبة . وسواء أكانت المبادرة من جانب المستعمر أم من جانب أولئك الوصوليين الانتهازيين فالنتيجة واحدة . وعلى ذلك فلم يكن نصارى مصر وحدهم هم الذين ابتغوا الأمن والجاه والمنعة في كتف الفرنسيين ، وإنما شاركهم في هذا الاتجاه بصورة ما من بقى في مصر من المماليك ( المسلمين ) وعلى رأسهم مراد بك . لقد ظل مراد ورجاله مثلا يناوشون القوات الفرنسية في الصعيد حتى آثروا في عهد كليبر حقن الدماء والتعاون مع الغزاة مقابل الإبقاء على مقامهم وإرضاء جشعهم واستمتاعهم بممارسة قدر من السلطان يواصلون به ما اعتادوا عليه من التحكم في رقاب البلاد . وكذلك فعل مماليك آخرون ممن شابهوا مراد بك في الصعيد وغير الصعيد من أراضي مصر . كما جهر بتعاونه نفر من قدامى موظفي الحكم العثماني .

ديسيه . وقد ساء القائد الفرنسي على حسن بلائه وقدم إليه سيفا  
بذكاريه نقشت عليه : معركة عين الفوصية - ٢٤ ديسمبر ١٧٩٨  
وفي هذا الوقت كانت حده انقضى في الصعيد قد هُتأ ، وساعدت  
الطبيعة الجغرافية للصعيد من احصى به من المماليك على أن يجندو ملاد  
أمنه في كموره ومجوعه القابعة في بطون جبل ، كما عاق طيوس الرادى  
لظرد عو الجنوب أى تقدم فعال للقوات الفرنسية الراحمة التي اكتفت  
بإقامه نقاط عسكرية فيما احتلت من أقاليم ومن ثم طالت حمة  
الصعيد أكثر مما كان متوقعا .

شكل رقم (١)



المماليك والعثمانيين «وآعانوهم بالمال والنزاه» مداراة لهم وهناء لأرواحهم وعظما على حركاتهم ، فأبدى يعقوب «كبريك في داره بالمغرب الواسع حجة الرومي ، واستعد متحذادا كبيرا بالسلاح والمسكر الخاريين ونحصر بقسوته التي كان شديدا بعد الواقعة الأولى ( أى ثورة القاهرة الأولى أيام بومبارت ) ، فكان معظم حرب حسن بك الجداوى ( من زعماء المماليك ) معه (١)»

ويحترف مؤرخو الأقباط بأن يعقوب ومن تحصن معه من أقباط القبط والشوام والأروام وبعض الفرنسيين قد حارب قوات العثمانيين وامتاليك بعد تقضى معاهدة العريش . ولغرض ما كتبه أحدهم ( رؤوف حبيب ) نقلا عن عدة مصادر : وكادت بار تكث الثورة أن تلحق القبط بشواظها لولا أن تداركه المعلم يعقوب الأمر بسجاعته المعهودة وحسن دفاعه ، فأظهر في تلك الظروف العصية مقدرة منقطعة النقص واستهدف فخر داهم ، وظل رابط الحاشى على عسكره وهويث عيهم روح الحماس بعبارة البارية وجرأته الرائعة ، وثبت إلى النهاية أمام حصار عيب وحصم عيب للود حتى تم له النصر « (٢) .

أحمد كليبر ثورة القاهرة مستخدما أشنع أنواع القهور والجمع والإرهاب . ثم فرض على المصريين كثيرا من المعازم عقابا لهم على الثورة . ونظرا لموقف النعم يعقوب الخبير في أثناء الثورة ، بالإضافة إلى ما ظهر من مواهبه من قبل ، فإن كليبر على حد قول الخبير « وكل يعقوب القبطى يعمل في المسلمين ما يشاء » . ويفصل يعقوب في ذلك ميدكر « إيم ( أى الفرنسيين ) وكنوا بالفردة العامة وجميع المال يعقوب القبطى وتكمل بذلك وعمل الديوان ( أى أقالم مكنا ) لذلك بيت البرودى « (٣)

كان طبعيا بعد فشل ثورة القاهرة الثانية أن يريد وهو الأقباط وخيلاؤهم ، وبخاصة من عمل معهم في خدمة الفرنسيين ، وأن يشايعهم

## في عهد كليبر

عاد بومبارت مصر فجأة ( في أول أغسطس ١٧٩٩ ) إلى فرنسا ، وعلمه في القيادة الجنرال كليبر ( Kléber ) الذى كان يصق بقاء الفرنسيين في مصر ويتطلع للعودة بجيش الشرق إلى بلاده ، بعد أن نهض من فشل الحملة في تحقيق أغراضها . ومن ثم رجب بالتفاوض مع العثمانيين والإنجليز تمهيدا لاجلاء عن مصر ، وإن لم يقدر لهذا الجلاء أن يتحقق في عهده

وعاد ديميه من الصيد ليكون إلى جوار قائده في ظروفه عمر لوانه . وكان ثلثي اثنين مثلا كليبر في مفاوضات الصلح مع الجانب العلى لإختيرى في ديسمبر عام ١٧٩٩ . ولم تلبث اتفاقية العريش التي أبرمت بين الحسن في أول عام ١٨٠٠ أن تعصب ، وشب القتال بين الفرنسيين والعثمانيين ، وقد انتصرت فيه قوات الحملة بقيادة كليبر متصار حاسم ( موقعة عين شمس - مارس ١٨٠٠ )

ولكى يحرق كليبر دعاء جنوده بعد أن كان العثمانيون قد تغلبوا في البلاد وأثاروا الحماس ضد الفرنسيين إثر تقضى اتفاقية العريش ، وقع مع مراد بك اتفاقية « سلام وتحالف » ( Paix et alliance ) وكانت

لغربيين ، كما يقول أستاذنا شفيق عريان ، <sup>(١١)</sup> وصحيح أنه اردني بهمه وركبته الخيلاء ، ولكنه انعد دون بي فومه كما تسج حول اسمه تلك الأسطورة الدرامية التي اختلعت فيها آراء

لقد مسح كبير رتبة « كولونيل » وجمعه على رأس عوفه عسكريه من شباب القبط . مما هي معه تلك العرفه أو « العيق » كما عرفه مؤرخون ؟

يقول مؤرخو الأقباط ( مثلا عمر حاسوب حمص ) <sup>(١٢)</sup> « إن ما ذكره جاءت من جانب ستم يعقوب الذي « مكر في باليت فرقة قتلى » . وفتح الفرنسيين في ذلك عوفتو . ويتوون إنه بعد أن جمع يعقوب شباب هذه العرفه وكل كلير أمر تدريبه في صيد فريسيه وصيدات على ذلك أن يعقوب هو الذي جهز ضد الصبي سلاح وإبرة على نفقته الخاصة

وحارب الأساذ شفيق عريان كذلك حاسوب حمص يذكر أن يعقوب « نظم جيشا من الأباط يخدم في صفوف الفرنسيين ، وكان هذا التنظيم على نفقته الخاصة » <sup>(١٣)</sup> ، وث كبير « أذن بإرشاد القوه العظيمة » ويؤثر الدكتور فريز عوف من ألا يرجح أن يكون يعقوب من الذي أنشأ الفرقة القصة ، يقول في كلير عن يعقوب « « « « « القبطي اندي شكل في مصر ليعاون الفرنسيين في حزمهم ضد « « « والأترال » <sup>(١٤)</sup>

غير أنه معصرى الحصة من مؤرخين ياشون مدف خمر فريز ريجو ( نقلا عن بعض وثائق حصه ومعاصره ) « إنه بعد انتصار كبير على الأتراك في موقعة عين عوف » كان لديه ١٥ ألف صبي وحدي على استعداد لخوض معركة أخرى مؤ . . وكان كبير بأهلب لكي يضم اليهم قوات إضافية . فرقة من الأباط وأخرى من اليونانيين » <sup>(١٥)</sup>

في ذلك عوفهم من مصاري الشام ومن إليهم ، وأن يسوء سلوك هؤلاء وأولئك في معاملته المسلمين إلى أقصى حد . ويستطيع أن يتبين قناعة بصورة من عبارات الحرق التي وصف بها هذه الحالة والتي تقطر سره وسخطا فهو يقول مثلا « تصدولت المصاري من القبط والشوام عن المسلمين بالحب والصرب وبنوا مهم أعراضهم وأظهروا حقدهم يوم يدعو المصلح مكانا وصرخوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام المؤمنين » <sup>(١٦)</sup> ويشير الحرق إلى تعسف السلطات الفرنسية في حبيل المعام التي فرضت على المصريين ، من أموال وعلال وماشية وغيرها ، فيقول « وكل ذلك بإرشاد القبط وطوائف البلاد ( يقصد الأقليات المسيحية الأخرى ) لأنهم هم الذين نقلوا للناصب الجديدة ، فاستحوذوا لأهله والرموا لهم ( أي الفرنسيين ) بجمع المال ونزل كل كبير منهم إلى إقليم وأقام بسرة الإقليم مثل الأمير الكبير ومعه عده من العساكر الفرنسية وهو في أية عظيمة وصحبته الكثبة والصبارف والأتباع ... وأخدم والعراشون ... وتقاد بين يديه الجالب والفعال ولهموناب .. والقواصة والمقدمون وبأيديهم الحواب المنصصة والديه . ويرسل إلى ولايات الأقاليم من جهة المستوفين ( أي المحصلين ) من القبط أيضا . ومعهم الحسكر من الفرنسية والصراير والمقدمين ... فيرلون على البلاد والقرى ويضربون المال والكف الشاقه بالعسف ويؤجلونهم بالساعات فإن مصب ولم يوفوهم يحلوا حين هم ما من من الحرق والنهب والسب والسب ، وحبسوا يد فر مسخ البند من خوفهم وعلم معصرتهم ، وإذا قبصوا غيبه وصرىهم وسعيوهم معهم في الحبال وأناقوهم أنراخ البرك » <sup>(١٧)</sup>

أما يعقوب فقد تعظم نفوذه وعت مراتبه ، وبع في علاقه بالفرنسيين شاؤ بعيدا صحيح أنه لم يس أن يضم لنفسه عندما جمع



أحلام الفارس القديم : فوفة من لحد وقبعه محصنه وجرمن حارس  
ورسوم وشارات ولعب عسكري

لا يريد عودة الممالك والعثمانيين وإنما يعمل على أن تكون لعمته من  
المصريين يد في تقرير مصير البلاد . أراد يعقوب أن يكون الأمر غير  
ذلك ، وعول على أن تكون القوة بحرية المصرية الجديدة مدبرة على  
النظم العربي ، فكان سباقا إلى تعهم للدرس الذي ألفاه انتصار  
الفرنسيين على النماليك أو قل إلى إدراك ما أدركه محمد علي بعد قليل  
من أن سر انتصار الغربيين في جودة نظمهم وبخاصة نظمهم  
العسكريه ... (١٨)

استمر بمقرب في القاهرة على رأس الميناء القبطي . ويبدو أنه كان  
هذا الموقف الغريب والمضى في تأييد المستعمر وحفظه إلى هذا المدى  
سواءً الآن في نفوس المصريين ونعل في عبارة مؤرخنا الحديث التي  
سجل بها عد الحدث . وما حصل به من امتصاص ومرارة ، ما يعكس  
مشاعر الناس لإواحه قاء الحديث من حوادث عام ١٢١٥ . إن  
يعقوب القبطي لما يظهر مع الفرنسيات وجعلوه يداري عسكر القبطه  
( أي فاندنا هم ) جمع سبان القبط وخلق الخاهم ورياهم يرى مشابه  
لعسكر الفرنسيات فميرين عنهم يقبع يلبسونه عن رؤسهم مشابه لشكل  
الربطة وعليها قطعة فرو سوداء من جلد الثمن في غاية المشابهه مع  
ما ينساف إليه من حجج صورهم ، ومواد أجسامهم وزيارتهم أبنائهم  
وصيغهم عسكريه وعروته ، وجمعهم من أقصى الصعيد وهذه الأماكن  
التي جارة النصارى التي هو ساكن بها خلف الخانك الأحمر ، وهي  
به قلعة وسورها بسور عظيم وأبراج وباب كبير يحيط به بدارات عظام .  
وكذلك بني أبراج في ظاهر الخلة جهة بركة الأربكية وفي جميع  
السور المحيط والأبراج طيعانا للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور  
معبر ( أي القاهرة ) الذي رثه الفرنسيات ورتب على باب القلعة  
المخرج والدخل عدة من العسكر الملامين سو قوف لئلا يهارة وأبائهم  
الذين على طريقه الفرنسيات (١٩) وهكذا أوصى يعقوب في نفسه

الفرنسية ، ويتعالى هو وأعوانه في أداء هذا العمل على حساب أمن المصريين وسلامتهم وحرمانهم وكرامتهم وخرمة بيوتهم وأموالهم واستقرار الوقائع في هذا الصدد وإنعام النظر في صلاحياتها وودود معلمي يبين أن موقف هؤلاء المتعاقبين ، كان قايما من أكثر من مجرد الشعور بالتعصب الطائفي . لقد غلبت عليهم الانتهازية المشعة والأثرة العمياء التي تجرد النفوس من المشاعر الإنسانية الطيبة ، واستغلال الظروف غير العيانية التي دعت بهم ، وهم فئة قليلة مستصعدة من الناس ، فجأة إلى مكان الصدارة والموود والمنحة ، بعد أن عاش طويلا في أملاك لا يعرفهم من حضيتهم ما ملكوه من مال وجاء ، ولا يفارقهم معها رادب حاجه الحكام بهم\* كما يقول شعيق عربال (٢١) .

ويحدثنا الجبرتي عن كثير مما شاهدته في تلك الأيام العسيرة فيقول : « اشتد أمر المصاليه بالمال وعين بذلك وجل مصرا في قبطي يسمى شكر الله فرل بالناس منه مالا يوصف .. فكان يدخل إلى دار أي شخص لطلب المال وصحبته العسكر من الفرنسيات والفلمة وما يديهم القرم فيأمرهم بدم الدار إن لم يدفعوا له للقرر وقت تفرجته من عمر فأحرق إلى غير ذلك ، وبخصوص ما فعله يولا في إياه كان يحبس الرجال مع النساء . . ويوع عليهم العذاب (٢٢) .

ويروي الجبرتي كذلك في حديثه عن مشاركته يعقوب ورجاله في تحصين القاهرة في وجه العثمانيين عندما اقتربوا منها للمرة الثانية ( من حوادث شهر المحرم ١٢١٦ - مايو ١٨٠٦ ) أنه : « بوكل وجل قبطي يقال له عبد الله من طرف يعقوب بجميع طاعة من الناس لعماد المتأخرين متعددي على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه فتشكى الناس من ذلك الميعطى .... ويبدو أن تجاورات أعوان يعقوب بلغ من التطرف حدا جعل السلطات الفرنسية نفسها تدخل لوقفها . عندما أنشئ الناس

## في عهد

م يحكم كليلا بطيلا بانتصاره على العثمانيين وبمجاحه في إخماد ثورة «ساحره» الب و في تخفيض الاستقرار بالصعيد مما ثبت أن لقي مصرعه على يد سقيان أحلى في ١٤ يونيو ١٨٠٠ تكهروا الجوى في القاهرة والأقاليم مرة أخرى ، ونولى قياده الحملة جنك مو ( Menou ) وبدأ سارح يخط أول سقوط الفصل الختامي في حياة الحملة الفرنسية وجيش الشرق . وبما بلغت النظر في هذه المناسبة ويوضح وثيق النصه بين العرس والطوائف المسيحية في مصر أن حنازة قائدهم المقتول لم يترك فيها من المصريين غير ممثلي هذه الطوائف ولعرا ما قاله شاهد «عبد» لؤرخ عبد الرحمن الجبرتي من وصف هذه الحادثة : « ولما فرغوا من ذلك ( أي من محاكمة سليمان الحلبي وزملائه ) اشتغلوا بأمر سارح عسكرهم المقتول ، وذلك بعد موته بثلاثة أيام كما ذكر ، بعضهم مكانه عبد الله جنك مو ، وبادوا بالكس والقرش ( استعانة بحجرة ) فبما أصبحوا جتمع عسكرهم وأكابرهم وطائفة عبيد القبط والشوام ( أي هؤلاءهم ) وخرجوا بحوكب مشهده ركبانا ومشة وقد وصحوه في سجون من رصاص . »

سمر يعقوب في عهد مو يؤدي مهمته في خدمة السلطات



## قصيدة خير عمو

غير أن يعقوب أصيب في عهد من بعدهم عائلته هزت أعماقه ، فقد بلغه — متأخرا — خبر مصرع صديقه وحبيه الوصي الخيال ديبه كان ديبه قد عاد مصر في عهد كبير بانعة من بونايرت لينضم إليه في حربه مع الفرنسيين ، فقتل في معركة مارنجو (Marengo) الشهيرة التي دارت عند إحدى القرى الإيطالية يوم ١٤ يونيو عام ١٨٠٠ ، وهو مدسه يوم مصرع كبير . ويعول جاستون خصي إن المعلم يعقوب حزن لوفاة صديقه ديبه — وكان في الثانية والثلاثين — حزنا شديدا ، وكب إلى الجبال مو يعرض عليه دفع ثلث تكاليف بناء النصب المزمع إقامته لتحليل ذكرى « الرجل الذي وهبه قلبه » . وكانت سلطات الحمة قد فتحت أكاسا لإقامة هذا النصب بين جنوبها (٢٤)

وأراد يعقوب كذلك أن يعبر للمسؤولين الفرنسيين عن حربه بطريقة مبتكرة ، وحدث بأن يرسل مرثية شعرية إلى حكومة باريس ١ مكلف صديقه الأب رومانيل أن يظم له قصيدة بما أراد ، فطلب هذا من خمسة وثلاثين بيتا ، وأرسلها يعقوب بالفعل إلى فرنسا . ولابد لنا هنا من

شكروهم إلى « مليار » (Belliard) قائمقام ( أى نائب ) مو أمر بالمص على ذلك القبطي « وحبيه بالقلمة .. » (٢٥) .

وكان من أعوان يعقوب في قهر انصريين بعض المسلمين . فذكر الخبر في من حوادث ١٨ ربيع الثاني ١٢١٦ ( أول سبتمبر ١٨٠١ ) أن السلطات العثمانية التي كانت تحتل القاهرة بعد أن انسحب منو إلى الاسكندرية قد اعتقلت « مصطفى الطارقي » وحصلت منه « خمسة عشر ألف ريال » ومصطفى هذا كان كلارجي ( أى أمين مخزن الأغذية ) عند قائد أنغا ( أى رئيس الأكلشارية ) فمما خرج الأمراء ر أى الماليت بعد دخول الفرنسيين ) تفيد مقبلا عند بونايرت ثم عبد كبر . فلما وقعت الفتنة السابقة وظهر يعقوب القبطي وتولى أمر الفرقة وجمع المال بعيد محنته وتولى أمر اعتقال المسلمين وحبسهم وعصوبهم وصرهم ، فكان يجلس على الكرسي وقت القتلة ( الظهيرة ) ويأمر أغواته بإحصاء أفراد المحبوسين من التجار وأولاد الناس فيمثل بين يديه ويصالبه بإحصاء ما فرض عليه لا طاقة له به ولا قدرة له على تحصيله فيحتسب بخلو يده ويترجي إمهاله بمرجعه ويسبه ويأمر بصره . ويرد إلى السجن بعد أن يأمر أعوانه أن يذهب إلى داره ويحبه الجماعة من عسكر الفرنسيين ويجمعون على حربه . « (٢٦) » وقد تم إعدام مصطفى هذا في ميدان باب الشعرية بعد ذلك بأقل من شهرين .

هذا وقد كانا مو المعلم ( الكرنوبيل ) يعقوب على خدماته المخصصة للفرنسيين ، وبخاصة في تلك الأيام انضطربه الخافعة بالأحداث بحبه رنية « جبال » ، وكان ذلك في مارس ١٨٠١ .

قصيدة يعقوب . ولكلما اكتبها بالاشارة إلى ذلك دون أن يشرا بينا  
واحد، منها . وقد عثرنا على النسخة الأصلية للقصيدة التي بحث بها  
يعقوب . ومعها ترجمتها الفرنسية في بعض مخطوطات وزارة الخربية  
بباريس . ومن فحص مخطوط القصيدة وإنعام النظر في مباحها ومباحها  
ستتبع أن يخرج ببعض الدلالات المهمة عن ناطقها ومرسلها

القصيدة مقدمة على شكل لوحة حمية ، فهي على ورق جلد شبه  
صقيل يمتاز عن الورق المعتاد في ذلك العهد . وقد استخدم كاتبها  
وواضح أنه حطاط محترف — خط النسخ الجميل في كتابة النص . مع  
بعض عبارات في المقدمة بخط الثلث ورأس هذه اللوحة مزين  
بالزخارف الدقيقة الملونة والمذهبة ، وكذلك استخدمت الزخارف  
الزخرفية الملونة في الفصل بين أشطر الأبيات . ويعمل اللوحة فكريا  
وخارجيا بلبه عبارة « إنا لله وإن إليه راجعون » ، وهي كما نعلم جزء من  
آية التقرائية « الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإن إليه  
راجعون »

وقل ذلك مقدمه نثرية مسجوعة تقول بما يشبه أن يكون أسلوبا  
إسلاميا قتيديا . أحمد قد عثره آلات الألكس الأوانس ، بأنعام اللغات  
الدوامس ، وكاشف العطاء الدلامس ، عن الآثار الموزيس محمد  
حمدا وشكرا لا تقا باله مدع وخالق ، بارى المبررات والخلائق ، مكنون  
الأرض والسماوات ، بصور الأحياء والأموات ، مبر النعاس من  
الحساسات ، فلا إله غيره ، ولا غير إلا غيره ، وهو الثالث والسبعين ،  
آمين » . وواضح من هذه المقدمة لمتصال صاحبها في استخدام الألفاظ  
التي تناسب مسجعه حتى ولو لم تناسب المعنى ، وعموض بعض  
العبارات وركابها ، والخطأ في اشتقاق بعض الألفاظ

ثم يجهد الكاتب لأبيات القصيدة بهذا المدخل الذي يقول بالنص  
« وبعد ، عهد دعاء جليل سعيد ، به نتحب وفات عزيزه ، الخراب

وفعة مائية تأمل قب هذا العمل ودلالاته . ولكن ينبغي قبل التعرض  
نصمون هذه القصيدة وبائها أن يعرف معنا القارئ على ناطقها ،  
من هو روفائيل ؟

الأب روفائيل أو رفايل ( ١٧٥٨ - ١٨٣١ ) اسمه الأصلي أنطون  
رحورة رعية ، وهو من أسرة سورية معروفة تنتمي إلى طائفة الروم  
الكاثوليك . ولد في مصر وفيها تعلم ثم أكمل تعليمه الديني في إيطاليا  
وأقر عدة لغات وتنقل بين مصر وسوريا وإيطاليا حيث عمل  
بالترجمة ، ثم استمر في مصر حتى وصلت الحملة الفرنسية فالتحق  
بالعمل فيها مترجما ، وكان الشرفي الوحيد الذي عيه الفرنسيون عصوا  
باصبح العلمي ( في حنة القصور والآداب ) . وهناك أسهم في إعداد  
البحوث وترجمة الوثائق التي ساعدت علماء المجمع في إعداد كتاب  
« وصف مصر » . وتولى روفائيل كذلك مهمة الترجمة العوربة في كثير  
من جملات ديوان القاهرة ، كما ترجم عددا من المراسيم والمنشورات  
والمطبوعات التي أصدرتها الحملة ، ومنها محاضر محكمة سليمان الحلبي  
فائل كليبر ، وكتاب عن مرض الجندري أصدره « ديجيت »  
( Désgenettes ) كثير أضياء الحملة . وقد ارتحل روفائيل بعد الحملة  
إلى فرنسا حيث عمل بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ، ثم عاد إلى مصر  
في عهد محمد علي وعمل بالترجمة لحكومته ، كما أسهم في إنشاء مطبعة  
بولاق ، وترجم من الإيطالية كتاب « الأمير » لمكيافيل الذي كان أول  
ما أخرجته مطبعة بولاق من كتب

وبلى جانب الإشارات القليلة المتناثرة عن روفائيل في مراجع الحملة  
وعهد محمد علي ، وفي كتاب الجبري ، فقد أحطنا بتفصيلات حياته من  
بعض مقالات كتبها بالعربية والفرنسية اثنتان من أبياء قومه هما الخوري  
مسعود باشا ، وشارل يشاتلي ، ومهما وجدنا عرقا أن روفائيل  
حاول مرض المسعر إلى جانب عمله في الترجمة ، وأنه هو الذي نظم

ولم يزل يفكرى مغلدا أبدا  
حتى إن حورج الروح من صدرى  
○ ○ ○

جد على بهبط العين متراقا  
وانظر الى بأسنى بركة النظر  
فانظر إلى ضعفا وشقاء حالته  
فقدت حياتنا لا تغلوا من الكبر  
لاحظ المصريين وكيف كانوا قدما  
وعيدا غنوا الآن للرق واليسر  
○ ○ ○

وعنتا للفريسيين فلا بد عبا  
لأنهم اعتقونا من الإصرار والشر

ومن حيث الشكل فإن هذه الأبيات المتألفة الجاء انوامة التركيب  
لخافية بأخطاء النحو والتصرف والمضاد قبل أخطاء العروض ، تدل على  
أن ناظمها لم يكن يحظى بأية موهبة شعرية ، وأن محاولته قرص الشعر  
باعت بالفشل الذريع ، كما يدل على أن لغة العربية تسبب كانت صعبه  
منهاته ، الأمر الذى يؤكد مرجعته فى المنشورات وغيرها من وثائقه  
الحملة ، ثم فى كتاب مكيا فيل الذى مرجه محمد على والذى قال عنه  
جناك ناصر انه « حرص فيه على حفظ المعنى ولو أنه استعمل العبارات  
الركيكة التى كان استعملها شاعرا فى هذه الفترة » (٢٥)

أما مصمون الأبيات وهو الذى أوحى به يعقوب لناظمها ، فإنه  
يحوى عددا من المعانى ذات الدلالات المهمة على أفكار يعقوب وموقفه  
من الحملة ، والمعانى التى تتصل بعلاقته الخاصة بصديقه الذى يرثيه  
إننا نستطيع بالرغم من العيوب اللغوية والشعرية لنقصيدة أن نستخلص  
مما ما يلى

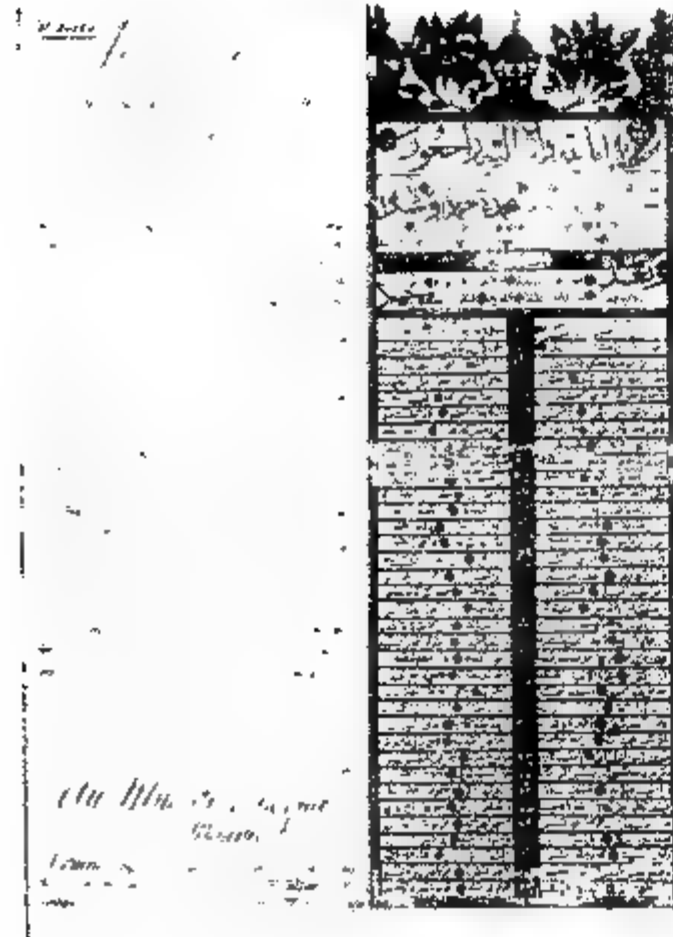
دسه ، صاحب الأمير يعقوب ، سارى حسكر للقيط الحديد ،  
يعقوب ، ولا يحمى على القارىء ما يتضمنه هذا التمهيد على قصره من  
أحشاء فى تقسيم التيارات وإرجاع الصائغ ، بل وعجاء  
الآثار ( شكل ٣ ) .

أما نبات العصبه التى لم تشر من قبل ، والتى لا نحب من طرافه ،  
مهد مخاربات منها ينصها

أدركنا على ذكر الحبيب دموعا  
سكروا بها ليوم البحث والحشر  
حبيب وقد دأب صيته أبدا  
يعلى وقد عرف فى سائر القطر  
فتلاوات شجاعته وعقله ثم فطنته  
وشرح احتقاره الدنيا بالظلم والسر  
وقد فاز بها على الممالك إجمالا  
ظافرا بأرقابهم مصرا بالعز والفهر  
وأحضع بشاخ جماعة البربر  
مروجا أخلاق أهل اقليم مصر  
○ ○ ○

فأما على ناصرى دسه ووا اسفى  
على اصطحاتى به لو قصر القدر  
فكنت أربع وجودى بيدانى مارنجوا  
كما رافسته قبلا بصعيدا المصرى  
تموتى عنه فداء كان يعبه  
عن لقد حياة مصيدة ذكرها دهر

شكل ( ٣ ) رثاء يعقوب للجنرال ديسيه : الشعر دأوب دفايل :



— يشيد المعلم يعقوب بطولية ديسيه « فاتح بلادنا بأحبة قبي »  
ويصفه بأنه صديق مجاهد شجاع عاش فطن .

— يذكر بالشجاعة انصار ديسيه على المماليك وإدلاله ليهج  
« أحصح تشيخ جماعة البربر » وكلمة « بربر » (Berber) ما تعني  
الصحح ، وهي لاشك من أثر معرفه روعاتيل للفرسية ولعل يعقوب  
يقصد بها سكان الصعيد بعامة الذين قاوموا رحمة ديسيه ، أو لعله على  
أحسن الفروض يقصد جماعات البدو الذين انضموا إلى قوات المماليك  
في مقاومة العزو الفرنسي . ويكرر ذكر البربر في القصيدة ويوصفون  
بأنهم « أعداء الله والبشر »

— يقول إن المصريين كانوا قديما شعبا عظيما ، ثم عدوا ( تحت  
الحكم الإسلامي بالطبع ) عبيدا للرق والأمر ، وأن الفرنسيين هم  
الذين خلصوهم من الذل والعبودية

. يصور سوء حال المصريين بعد رحيل ديسيه ويخاطب  
الفرنسيين في شخص صديقه الراحل مغربا عن خشية من أن تعود مصر  
إلى سابق عهدها من الدل ونلقهر إذا ما تم الصبح ( وكان وثندا  
متوقفا ) وأحلالها الفرنسيون . ويأشدهم ألا يدعوا مصر « لسايب  
القهر » وألا يتركوها لحاكم « يسوم بالقصر »

— لم يس يعقوب كذلك أن يجامل بومبارت فيشيد بانتصاراته  
« وماخصه الله من العظلمات والقدر »

— يؤكد أكثر من مرة حب دوحه للفرميين « لأنهم اعتقونا من  
الأصرار والشر » .

أما على المستوى الشخصي فهناك ملمح لا تحفظه العين في أبيات هذه  
القصيدة إنما مستطرح أن نستشف مما تتضمنه من عواطف مبررة أن  
العلاقة بين يعقوب وصاحبه كانت شيئا أكبر من مجرد الصداقة أو  
الولاء إن حزن يعقوب على ديسيه يكاد يكون حزن عاشق وهان ،

## خاتمة الحملة .. والرحيل

اقتربت أيام الحملة من نهايتها ، وتهاوت أحلام متو الأسحمارية في أن يجعل من مصر ، لا مجرد قطر لحلة الفرنسيون بالحر ، وإنما قطرا تم ضعه إلى فرنسا (Pays annexé) ، هذا بالرغم من تظاهره باعتناق الإسلام الذي لم يستطع أن يتبع به أحدا من المصريين . وذلك كما تهاوت من قبل أحلام بوناپرت في أن يؤسس في هذا الجزء من العالم مملكة جديدا يقوم على أسس تخرج بين الحضارة الإسلامية ومبادئ الثورة الفرنسية ... الخ . وعادروا القاهرة إلى جبهة الاسكندرية ، بينما بقي نائبه ( قائمتهم ) بليار ينافع عن العاصمة ، ويحاول جهده أن يحفظ ماء وجه الحملة ، قبل الخلاء الذي لم يعد منه عمر ، إلى آخر فطرة

واصل الجيش العثماني رحلته نحو القاهرة ، وواصل الجيش الإنجليزى كذلك رحلته من رشيد ، تاركاً منو محاصراً في الاسكندرية . وراى من تخرج موقف الفرنسيين انتشار الطاعون وقتك بعدد كبير من الأهالى والجسود . ومن ثم هرو بليار مع سائر قواده عدم انتظار تعييمات منو ، والمضى في معاوضة العثمانيين والإنجليز مرة بعد اتفاق على أساس إخلاء الكامل عن مصر . وهكذا وقع بليار اتفاقية لم تختلف مرادها كثيراً عن

فهو يكرر في ذكره كلمة الحب ومشتقاتها ، وهو ينسى أن لو كان قد مات قتداء له ( في معركة مارغيو ) ويؤكد أن فقيدته لم يزل يفكره "مخلداً" ايذا حتى إلى خروج الروح من صدره . ثم هو يماجيه بقوله « جد على يحفظ العين » ، ويأشده أن يرأف به وإن يسحه نظرة تقوى كسا البرق . ويصور انتقاله إلى الملكوت الأعلى تصويراً رومانسياً . يذكر به "جمال نفسه" والور الذي يحيط بروحه وبقيء على العالم كالقمر ، "مترنيا بهاء أشعة الحب للبشر" .

من الواضح إذن أن العلاقة التي كانت تربط بمقوب يدييه علاقة حميمة جدا . فقد صحبه صحبة كاملة طيبة أكثر من عام حتى تعلق به تعلق شديداً كما يقول مؤرخه حاستون حمصى . ويروى الجنرال بليار في مذكراته ، وكان من صباط ديسيه في حملة الصعيد ، الكثير من الأمسيات الطويلة التي كان يركبها ديسيه في منزله بأسيرط ويحصرها بمقوب مع صباط الحملة ، وكذلك الأمسيات الباذخة التي كان يرتبها بمقوب في منزله لديسيه وصباطه . وكانت السهرات تمتد في هذه الأمسيات وتلك ، والأحاديث تدور حول شتى الموضوعات (٢١)

ومهما يكن من أمر فلا نستطيع أن نؤكّد هذه العلاقة الشخصية أو أن نجزم بنشء عن مدى ما وصلت إليه بين الرجلين . كل ما يمكن قوله في هذا الصدد أنها حشرت في نفس بمقوب خطا عميقا . وكتاب المهرق على أية حال جعل يذكر علاقات حميمة كثيرة قامت بين بعض المصريين وبعض الفرنسيين أيام الحملة ، وفي مقدمتها ما ذكره عن علاقة صديقه الأديب المعروف الشيخ اسماعيل الخشاب بشاب من ضباط جيش الفرنسي

على راحة الاهالى وأممهم ، وعلى ذلك « ميلرم أنهم يصعدون سلكوا و الطريق المستقيمة وتمسكوا ان الله تعالى جل جلاله هو الذى يفعل كل شئ والسلام » . وبناء على ذلك فقد أمن على نفسه وماله وعياله كل من تعاون مع الفرنسيين في أثناء الاحتلال ، واستعد من يريد السفر منهم مع الحملة المسحقة إلى فرنسا في مقدمة هؤلاء وأوتك لعدم يعقوب ( شكل ٤ ) .

بعد أيام قليلة من صدور هذا المنشور أرسل ابراهيم بك الذى كان يصاحب القوات العثمانية الراحته إلى القاهرة « أمانا لكبير القبط فخرجوا ... وسلموا وجمعوا إلى دورهم » أما يعقوب الذى كان يشترك ببيعته في حمية ظهر قوات يلغار بالناهره فإنه خرج بمناعه وعاد إلى الروضة وكذلك جمع اليه عسكر القبط وهرب الكثير منهم واختفى ، واجتمعت ساؤهم وأهملهم وذهبوا إلى قانتقام ( بيار ) وبكوا وولولوا وترجوه في إيقانهم عند عيالهم وأولادهم فإنهم فقراء وأصحاب صنائع ما بين تجار وبناء وصانع وغير ذلك فوجدتهم أنه يرسل إلى يعقوب أنه لا يمهز ( أى لا يرغم ) من لا يريد اللعناب والسفر معه (٢٧)

واستطرد الخبرني إلى ذكر الآخرين الذين فصلوا انفجرة مع الفرنسيين فقال « خرج اسافرون مع الفرنسيين إلى الروضة واجيزه بتناعيم وحرمتهم وهم جماعة كثيرة من القبط وتجار الاربع والشرحين وبعض مسلمين بمن تتدخل معهم وحاف على نفسه بالتحلف ، وكثير من نصارى الشوام والارواك مثل بنى وبرطمين ( بارتلسى الذى كانت العامة تطلق عليه فرط الرمان ) ويوسف الحموي وعبد القلل الأعيا أيد الذى طلق زوجته وباع مناعه وفرائشه وما ثقل عليه حمله « وكان عبد المال هذا أعا الانكشارية ، أى قائدتهم ، وقد أذاق القاهريين الكثير من بطشه وجبروته . وبعد نحو شهر من خروج هؤلاء المهاجرين من

موايد اتفاقية العريش التى وقعت من قبل في عهد كليبر تم نقضت وكان ذلك في أواخر يونيو ١٨٠١ .

ولم يعلم متى توقيع نائبه بليلر لحذه الاتفاقية إلا مؤجرا . وقد ناز عندما اطلع على شروطها ، ولكنه لم يلبث أن وقع هو نفسه في آخر أغسطس اتفاقية بمائلة للجلاء عن الاسكندرية

وقد نصبت اتفاقية بليار للجلاء مادتين هما سكان القاهرة بوجه خاص ، هما المادتان الثانية عشرة والثالثة عشرة ، فرأى بليار إداغتهما وحدهما في منشور خلاص بالعرية والفرنسية موجه منه إلى « جميع أهالى محروسه مصر ( أى القاهرة ) وقدم بليار لنص هاتين المادتين بصلوة قال فيها ان إرادة الله تعالى قصت « بالصلح ما بين عاكر لافرة لاية وعساكر الإنجليز وعساكر العثمانية . « ثم استدرك بطعن الاهالى إلى أن هذا الصلح لايمس المساس بأشخاصهم أو عقائدهم أو أملاكهم وأكد لهم أن « رموس عساكر الثلاثة جيوش قد أشرطوا بهذا « أما نص مادتين فهو كما جاء بالمنشور

الشرط الثانى عشر كل واحد من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كانت الذى يريد يسافر مع الفرنسيين يكون مطلق الإرادة وبعد سفره كامل ما يبقى أعياله ومصلحه لم أحدا يعارضهم ( في النص الفرنسى لا مصادر ممتلكاتهم ) .

الشرط الثالث عشر لا أحدا من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كانت لا يكون قلعا من قبل نفسه ولا من قبل مناعه ، جميع الذين كانوا بخدمة الجمهور الفرنسى بمدة إقامة الجمهور بمصر ولكن الواجب يطعنون الشريعة ( في النص الفرنسى هواتين ليلاد ) .

وحتم بليار هذا المنشور بعاره وجهها إلى « أهالى مصر وأقاليمها جميع المثل » قال فيها إن الفرنسيين لم يكفوا حتى اللحظة الأخيرة عن العمل

LE GENERAL DE DIVISION  
BELLIARD,  
Commandant le Kaïre et les Troupes de l'Aronondissement,  
Aux Habitants du Kaïre, de toutes les Religions.

هو محمد علي بك مرابط في مصر  
مستألف من جميع الدول

أنا الذي لا أعرف ما في هذا  
الكتاب ولا أعرف ما في هذا  
مع ما أكتب في كتابي ولا أعرف  
ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي  
ولا أعرف ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي

أنا الذي لا أعرف ما في هذا  
الكتاب ولا أعرف ما في هذا  
مع ما أكتب في كتابي ولا أعرف  
ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي  
ولا أعرف ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي

أنا الذي لا أعرف ما في هذا  
الكتاب ولا أعرف ما في هذا  
مع ما أكتب في كتابي ولا أعرف  
ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي  
ولا أعرف ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي

أنا الذي لا أعرف ما في هذا  
الكتاب ولا أعرف ما في هذا  
مع ما أكتب في كتابي ولا أعرف  
ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي  
ولا أعرف ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي

هو محمد علي بك مرابط في مصر

هو محمد علي بك مرابط في مصر  
هو محمد علي بك مرابط في مصر

أنا الذي لا أعرف ما في هذا  
الكتاب ولا أعرف ما في هذا  
مع ما أكتب في كتابي ولا أعرف  
ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي  
ولا أعرف ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي

أنا الذي لا أعرف ما في هذا  
الكتاب ولا أعرف ما في هذا  
مع ما أكتب في كتابي ولا أعرف  
ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي  
ولا أعرف ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي

أنا الذي لا أعرف ما في هذا  
الكتاب ولا أعرف ما في هذا  
مع ما أكتب في كتابي ولا أعرف  
ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي  
ولا أعرف ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي

أنا الذي لا أعرف ما في هذا  
الكتاب ولا أعرف ما في هذا  
مع ما أكتب في كتابي ولا أعرف  
ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي  
ولا أعرف ما في كتابي ولا أعرف ما في كتابي

هو محمد علي بك مرابط في مصر

هو محمد علي بك مرابط في مصر

هو محمد علي بك مرابط في مصر

المعاهدة كتب الجبري يقول إنه « حصرت جماعة من عسكر القبط الذين كانوا ذهبوا بصحبة القرساوية تحلفوا عنهم ورجعوا إلى مصر ( المعاهدة ) » ( ٢٨ )

ومؤدى كلام الجبري في الفقرات السابقة أن معظم عسكر القبط القبطي رفضوا السفر مع يعقوب إلى فرنسا ، ولأن دوتهم أقاموا ساحه أمام نائب القائد العام حتى لا يرغم أحد من أبنائهم على السفر مع قائدهم السابق ، وأن من كانوا قد صحبوا العسكر بالسحبيين ( ربما لتأمين الطريق ) قد عادوا بإرادتهم إلى العاصمة مرة أخرى .

ولا شك أنه مما ساعد على اعتدائهم أبناء الأقليات ، وبخاصة الأقباط ، إلى البقاء في « مصر الخروسة » مفصلين ذلك على مخاطر السفر إلى المهجر لصحة يعقوب ومن معه حرص السلطات العثمانية التي دخلت القاهرة على تكرار المناقشة بالأمان وتأكيد القول بالقبض ، في محاولة دائمة لاكتساب تأييد ساكني مصر جميعا ، وللمحاولة دون حدوث أية اضطرابات طائفية تحمل بالأسى ، مما أشاع جوا من التسامح والتجاوز عن الماضي والشعور بضرورة بدء صفحة جديدة في العلاقات بين مختلف طوائف السكان . بعد أقل من شهر من توقيع اتفاقية الجلاء عن القاهرة ، يودى بأن لا أحد يتعرض بالأدب نصراى ولا يهودى سواء كان قبطيا أو روميا أو شاميا ، فإنهم من رعايا السلطان والمصطفى لا يعاد ..... » ( ٢٩ )

ولم يقتصر الأمر على القاهرة بل امتدت هذه الحملة الدعائية إلى الأقاليم ، مع التماس العذر لمى سارون مع الفرنسيين . ويقول الجبري : « كتبت مرمانات ( أى مشهورات ) وأرسلت إلى بلاد الشرمية والصفه والحريه مصرين الكف من أدبه البصاري واليهود وأهل الدمه وعدم التعرض لهم وفي صحتها آيات قرآنية وأحاديث نبوية والاعتذار عنهم بأن الخامل هم على تدخلهم مع القرساوية صيانة أعراضهم وأموالهم » ( ٣٠ )

وأكثر من هذا فان العثمانيين بعد استعادتهم مصر من أيدي الفرنسيين حرصوا على ان يستعملوا بكتبه الأقباط وصيغارهم في تحصيل الضرائب المستحقة للحكومة كما كان الحال قبل الاحتلال الفرنسي ، وأن يعلنوا سخط على المأخذ حتى تعود الأمور إلى مجاريها بين كل الأطراف . ففي شهر جمادى الأولى ١٢١٦ ( سبتمبر ١٨٠١ ) قرئت قرارات ( أى مشورات ) صحيحة عثمان كنعنا ( نائب الوالى العثمانى ) وفيها التنويه بذكر أعلان الكتبة الأقباط والرخصة بهم مثل جرجس الجوهري وراصف ومسطى ، ومقدمهم في تحرير الأموال الميرية ... (٣١) .

\* \* \*

كانت السفن الإنجليزية بقيادة الأميرال اللورد كيث (Keith) ترسو قرب شاطئ رشيد تتقل قواب حامية القاهرة بقيادة بليار ومن شاء أن يسافر معها إلى فرنسا ، فيما كان من بقواته ما زال بمنطقه الاسكندرية .

ووصل بليار ورجاله المنسحبون من القاهرة إلى رشيد في أواخر يوليو ١٨٠١ ، ومعهم يعقوب ومن صحبه من المصريين والمنتمين . وافق يعقوب على أسرته والدته وروخته وابنته وأخوه حين وابن أخته عبريال سيد اروس . وهناك وجد بليار رسالة من القبطان العثمانى حسن باشا يطلب إليه فيها أن يقع المعلم يعقوب بالبقاء في مصر لكي تنتفع السلطات العثمانية التي استردت مصر بخدماته المالية ، كما انتفعت بخدمات بني قومه من كبار الكتبة والصيارف . ولكن يعقوب لم يستجب لهذا الطلب رغم إلهام القبطان وإغرائه له بالبقاء ، ورغم محاولة بليار لإقناعه ولعله خشي من مؤامرة عثمانية ( غير مستبعدة ) على حياته ، جزاء موقفه وتصرفاته في أثناء الاحتلال الفرنسي للبلاد .

ركب يعقوب ومن معه الفرقاطة بالاس (Pallas) ، وهي السفينة

وأكثر من هذا فان العثمانيين بعد استعادتهم مصر من أيدي الفرنسيين حرصوا على ان يستعملوا بكتبه الأقباط وصيغارهم في تحصيل الضرائب المستحقة للحكومة كما كان الحال قبل الاحتلال الفرنسي ، وأن يعلنوا سخط على المأخذ حتى تعود الأمور إلى مجاريها بين كل الأطراف . ففي شهر جمادى الأولى ١٢١٦ ( سبتمبر ١٨٠١ ) قرئت قرارات ( أى مشورات ) صحيحة عثمان كنعنا ( نائب الوالى العثمانى ) وفيها التنويه بذكر أعلان الكتبة الأقباط والرخصة بهم مثل جرجس الجوهري وراصف ومسطى ، ومقدمهم في تحرير الأموال الميرية ... (٣١) .

\* \* \*

كانت السفن الإنجليزية بقيادة الأميرال اللورد كيث (Keith) ترسو قرب شاطئ رشيد لتقل قواب حامية القاهرة بقيادة بليار ومن شاء أن يسافر معها إلى فرنسا ، فيما كان من بقواته ما زال بمنطقه الاسكندرية .

ووصل بليار ورجاله المنسحبون من القاهرة إلى رشيد في أواخر يوليو ١٨٠١ ، ومعهم يعقوب ومن صحبه من المصريين والمنتمين . وافق يعقوب على أسرته والدته وروخته وابنته وأخوه حين وابن أخته عبريال سيد اروس . وهناك وجد بليار رسالة من القبطان العثمانى حسن باشا يطلب إليه فيها أن يقع المعلم يعقوب بالبقاء في مصر لكي تنتفع السلطات العثمانية التي استردت مصر بخدماته المالية ، كما انتفعت بخدمات بني قومه من كبار الكتبة والصيارف . ولكن يعقوب لم يستجب لهذا الطلب رغم إلهام القبطان وإغرائه له بالبقاء ، ورغم محاولة بليار لإقناعه ولعله خشي من مؤامرة عثمانية ( غير مستبعدة ) على حياته ، جزاء موقفه وتصرفاته في أثناء الاحتلال الفرنسي للبلاد .

ركب يعقوب ومن معه الفرقاطة بالاس (Pallas) ، وهي السفينة



## قصة شروع لاسكاريس

لم تكن حكاية العام يعقوب بإبحاره من الشواطئ المصرية ولا بوفاته ، وانما على العكس بدأت بذلك قصة من أعرب المصطفى الذي دبل بها تاريخ الحملة الفرنسية في مصر ، والتي شعلت لمراتها عددا من المزارعين ، ذهبوا في تأويلها والتعيق عليها مذاهب شتى تأرجحت بين الخلق والاسطورة . ويشارك يعقوب بطول هذه القصة مفامر أورفي شاب اسمه تيودور لاسكاريس (T. Lascaris) وهو شخصية عامضة مهتمة ، ظهر على مسرح الأحداث مع يعقوب منذ أفلتت السفينة بالأسر بعد وفاة « المعلم » فمن هو لاسكاريس هذا ؟

ولد لاسكاريس عام ١٧٧٤ من أسرة إيطالية نبيلة ( أى أنه كان وقت الرحيل عن مصر في السابعة والعشرين من عمره ) ، والمخرط هو : « مع له في سلك عرساته القديس يوحنا بجزيرة مالطة » التي عزها يونانوب وهو في طريقه إلى مصر عام ١٧٩٨ ، وانتزعها من أيديهم وعصى على سلطتهم ( شكله ) . وهؤلاء القروان هم الذين أشار عليهم يونانوب في منشوره العربي الأول إلى المصريين بكلمة « الكواليرية » وهي تعريب للكلمة الإيطالية (Cavaleri) بمعنى

نفسها التي آلت البحارال بيار وعددا من جنوده وضباطه . وأبحرت بالأسر بقيادة القبطان جوريف إدموندس (J. Edmonds) في ١٠ أغسطس متجهة أولا إلى قبرص وساحل شبه جزيرة اسيا الصغرى وبعد أن أظلمت السحابة يومئذ أصيب يعقوب بالحمى ، وما لبث أنه اشتد عليه المرض ومات في عرض البحر ، بعد أربعة أيام . في ١٦ أغسطس وقد كانت بحر كسانه وهو يختصر للبحارال بيار ان يدمر مع صديقه ديسيه في قبر واحد !

ولم يلق ريان السفينة بحثة يعقوب إلى البحر كالمتناذ في مثل هذه الحالة ، بل استمع إلى رجاء من عمه ما حفظ بالجنة في ذلك من الخمر حتى وصلت السفينة إلى مرسينا . وهناك تم دفنها في جبانة ابلية .



فرسان ، فقال بالحق « إن الفرساوية هم أيضا مسلمون خالصون ، وإثباتا لذلك قد نزلوا في رومية الكيرا ( كذا ) وخربوا فيها كرمي اليابا الذي كان يمت دائما النصرا ( كذا ) على محاربة الإسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوندليويه الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين .. » ( شكل ٦ ) . وتقول بعض مراجع الحملة ، بل ويقول يونانيرت نفسه في مراسلاته إن الأخوين الفارسيين كانا مصابين بكون من الهوس وشنود الأهواء وبأن كان بطلا أخف حافة من أخيه الذي وصل به الأمر إلى حد الهوس

كان تيودور لاسكارس ذا عقل منفرد في الخيال ، وقد صاحب حملة يونانيرت إلى مصر ، وهناك تقلد بعض المناصب الإدارية في خدمة حكومة الحملة وأطلق لاسكارس خياله العتاك فأخذ يقترح على مسطحات الحملة — وخاصة أيام حتر — عدة مشروعات غير عملية ولا مفروسة ، مثل إقامة عاصمة جديدة لمصر عند تفرع النيل برأس الدلتا يطلق عليها اسم « متو بوليس » غليظ الاسم المختار متو ا ومثل تمكنه من ضبط مياه النيل واسترواح الصحراء . الخ . وقد قدم لإحدى رسائله إلى عبد الله متو التي ذكر بها بعض هذه المشروعات بهيئة ملقى الضوء على ذكوبه العفسي وأسلوب تفكيره . قال لاسكارس لمتو « إن القدر يهيء لكل إنسان في هذا العالم الطريق الذي يسلكه . فهناك من هيا له القدر أن يكون من العزاد الفاشيون ، وهناك من قدر له أن يكون مجرد صانع أحديه ومن الناس من قدر له أن يكون من مؤسسي الدول والمدبرين ، بينما قدر لآخرين أن يقيموا الأسر وينجيوا الأطلعال .. الخ » أما هو فقد قدر له أن يكون « من أصحاب المشروعات » . ويقول « إني كثيرا ما ارتفع بنفسى فوق عالم الواقع لكي أخطط لمشروعاتي ، وأترك الخيال أن يدل كل ما قد يعترضها من عقبات آه ما أجمل الخيال ، إلى لأجد فيه معادق مملوكة متو لم يأخذ مشروعات لاسكارس يوما مأخذ الجد ، بل كان كثيرا ما ينجو له أن يمارحه ويسخر من خيالاته ويخبر بها بتليسه من



إلى سوريا . وبعد انه قد برسله إلى يعقوب بنصص هــ ، الخبي ، وكان  
دب في مارس ١٨٠٦ عندما تأرعت أمور الحملة وأوشك الفرنسيون  
على تسليم مصر إلى العثمانيين ، وهكذا لارم لاسكاريس يعقوب مند  
دش بحر حتى عادوا مصر سوريا ، أي طيلة خمسة شهور . وكان لهذه  
العشرة ولاشك أثرها في القصة التي جرت أحداثها فوق سطح السفينة  
: لاس

## مسرحية بحرية

تبدأ هذه الأحداث بعدة لقاءات بين يعقوب وبطشان السفينة ، الذي  
قدر مكانه يعقوب في قومه ولدى الفرنسيين على السواء ، فخصه بشيء  
من الحفاوة والتكريم . وفي هذه اللقاءات تبادل الرجلان عدة أحاديث  
كان لاسكاريس يقوم خلالها بدور المترجم بينهما . وقد تارت  
موضوعات الأحاديث حول مصر ، حاصرها ومستقبلها . وفي أذان  
يعقوب من خلال مترجمه الحكم العثماني لمصر ووصفه بأسوأ العيوب  
وقال إنه أهد الاحتلال الفرنسي للتحقيق بما حاق بمواطنيه من أذى  
وما وقع عليهم من ظلم واضطهاد . وأصاف يعقوب للبطشان بدموبس  
من خلال لاسكاريس إنه غادر بلاده سعيًا وراء تحقيق استقلالها عن  
الدولة العثمانية . ووضح أن مضمون هذا الكلام يشبه أفكار  
لاسكاريس التي سبق أن عبر عنها في مشروعه الذي قدمه إلى الجنرال  
منو قبل أن يتحقق بالعمل مع يعقوب .

ولما كان مران القوي قد مال ، وانتهى الوجود الفرنسي بمصر على يد  
العثمانيين والإنجليز معا ، ولما كان يعقوب يبحر هو وس معه على سميـ  
البحرية ويتحدث إلى قائدها الذي أكرمه وكان به حميا ، فقد رأى هو

بالفرنسية من عدة أجزاء وسلمها للربان الإنجليزي . وهي مؤرخة ٢١ سبتمبر ١٨٠٢ بعد أن كانت « بالاس » قد ألقت مراسيها في هذا الميناء بضعة أيام .

وتقع مذكرة لاسكاريس في إحدى عشرة فقرة مرقمة ، تتناول كل منها جريدة من جزئيات الموضوع . ويلفت النظر في هذه المذكرة أن بعض العبارات تتخللها فراغات ويبدو أن الكاتب لم يجد الكلمات المناسبة لمثلها ، وأن عبارات أخرى قد أكدها صاحبها بوضع خط تحتها

قدم لاسكاريس لفقرات مذكرته بقوله : « مذكرات مرفوعة لقيطان جوزيف إدموندس لتذكيره مستقبلا بالنقاط الرئيسة لأحداثنا السياسية على ظهر سفينة » . ويمكن تلخيص أهم ما تضمنته هذه المذكرات من نقاط وإشارات فيما يلي :

١ - ناشد لاسكاريس إدموندس أن يؤيد وجهة نظره عند عرض الموضوع على قائده ، حتى يكون هذا متناكلا لدى الحكومة البريطانية

٢ - قال إن مصر جديدة بأن تؤيد الحكومات الأوروبية مشروع الوفد الذي قوضه المصريون ، إن لم يكن من أجل ماضيها العربي وأعزها بفضلها على الحضارة ، فعلى الأقل من قبل العطف عليها .

٣ - أشار إلى احتمال أن تتقدم حكومة الجمهورية الفرنسية نفسها فيما بعد إلى الحكومة البريطانية باقتراح تؤيد فيه الآراء الموضحة بالذكرة . وإذا حدث ذلك فإنه سوف يكون بتأثير الوفد المصري في باريس ، مع ملاحظه أن تحقيق هذا المشروع ليس من صالح فرنسا بقدر ما هو في صالح بريطانيا

أو سرجه أو هما معا — أن من الكياسة ألا يشير إلى فرنسا المهرومة بوصفها القوة الأوروبية التي سوف يعتمد عليها في تحقيق انسلاخ مصر عن الدولة العثمانية ، وأن من حسن السياسة أن يحول الدقة مع تحول التيار نحو بريطانيا . ومن ثم قال يعقوب في أحاديثه مع الربان الإنجليزي إنه عندما رأى أن يعتمد في تحقيق عاقبته على فرنسا لم يكن يدرك مدى قوة بريطانيا . أما الآن فقد أيقن أن الفرنسيين حذعوا المصريين وأن مواثيقه يحتقرهم اليوم كما كانوا يحتقرون الأتراك من قبل ، وأن تحقيق ما يسعى إليه مستحيل بدون تأييد الحكومة الإنجليزية ! ! ومن ثم فهو يرجو القيطان إدموندس أن يلغ هذا الموضوع إلى رئيسه قائد البحرية برفعه معرفته إلى حكومته

وورد لاسكاريس أن يسعى على هذه الأساليب التي لم تفسر لأكثر من يومين ( بين إسماعيل السعيد ومرسى يعقوب ) أهمية خاصة ويسمع عنها طامعا . فأنشأ إلى ما ذكره يعقوب من خلاله لإدموندس أن خسران يعقوب إنما يهاجر على رأس « وفد مصري » أحار أعيان الميلاد ليقاوم الحكومات الأوروبية المعنية في موضوع استقلال مصر .

\* \* \*

ويبدأ الفصل الثاني من القصة بعد وفاة يعقوب ، عندما قرر لاسكاريس ، وقد انفراد بمسرح الأحداث ، أن الوفد المصري باق رغم موت رئيسه . وانضم مع إدموندس عن أن يعد له مذكرة يسجل بها الموضوعات التي تثار حول الحديث بينه وبين يعقوب قبل موته ، لكي يرفعه إدموندس إلى حكومته عن طريق رئيسه الأدميرال اللورد كيث وتعهد له إدموندس بذلك ، وبأن يحفظ الأمر سرا حتى لا يتسرب إلى جهة قد تعسف حظه .

وهو عكف لاسكاريس بالفعل في ميناء طولون على كتابة مذكرة

الاستبداد التركي فلتكن الحكومة الجديدة إذا عادت حازمه وطنية كما كانت حكومة شيخ العرب همام في الصعيد ( التي قضى عليها على بك الكبير قبل الحملة الفرنسية بنحو ثلاثين عاما )

٨ من حيث الدفاع قال إنه ليس من المتوقع أن تهاجم الدول الأوربية مصر ، ولكن هذه الدول تستطيع أن ترد عن مصر عدوان الأتراك والماليك . وفي الوقت نفسه يستطيع المصريون أن يستعملوا على حسابهم قوة دفاع أجنبية يتراوح عندها بين ١٢ و ١٥ ألف رجل يكفون تماما لحماية مصر من الأتراك والماليك جميعا ، وتكون هذه القوة بواة لحيش وطني ثم إنه يمكن شراء دم العثمانيين بالمال حتى لا يذكروا في المحرم من مصر

٩ من حيث الأمن الداخلي قال إن الشعب في مصر ينقسم إلى عدة طوائف ، وإن هذا يتيح الوسائل لدفع هذه الطوائف بعضها ببعض لحفظ التوازن بينها . وأكد أن الوفد انصرى على صلات هذه الطوائف جميعا دون ما تحيز ، وأن هذه الصلات لا يعلم بها جهاز الحكم التركي للمستبد ، وإذا كانت العاقبة وحيدة على الأتربة دعاة الاستقلال .

١٠ أكد أن المصريين عامة ، ووفدهم لدى الحكومات الأوربية بوجه خاص ، سيبدون كل ما يوسعهم من جهد لتحريروا من ذلك القي الذي يثقل كاهل بلادهم النعمة ، وأن المشروع السياسي الذي يسعى الوقت لتحقيقه هو في صالح الدول لأوربية جميعا ، بل وفي صالح تركيا كذلك

١١ - قال أنه لنا حبيب مصري ولم يحقق اتفاق الصلح العام أمهم ، وعاد العثمانيون إلى استلاك مصر ، فإن المهجريين

٤ حدث الإنجليز على أن ينتهروا هذه الفرصة التاريخية التي توشك فيها الإمبراطورية العثمانية أن تتداعى من كل جانب ، فيضموا لأنفسهم السيطرة على مصر . وإذا كان من المستحيل على بريطانيا أن تستعمر مصر ، كما استحال ذلك على فرنسا من قبل ، فالأنسب أن تكون مصر مستقلة عن الدولة العثمانية ، وفي الوقت نفسه خاضعة لنعوذ بريطانيا سيادة البحار المحيطة بمصر . ولا شك أن بريطانيا بحكم مركزها الخاص في الهند سوف تفيد أكبر فائدة من السيطرة على التجارة مع مصر الغربية بمصلاها الوفيرة ويتجارها مع قلب إفريقيا .

٥ - أكد أهمية إحكام النفوذ البريطاني لا مجرد السيطرة التجارية من مصر فقد تعود فرنسا كما كانت حبيبة الباب العالي ، وعندئذ قد يتخذ العثمانيون من الإجراءات ما يؤدي إلى تعطيل التجارة الإنجليزية في الشام والبحر الأحمر .

٦ بدد بحكم الفرنسيين لمصر في أثناء احتلالهم لها ، وأشار إلى ما سبق أن تردد في الأحاديث مع إدموندس من كراهة المصريين هم نتيجة لذلك ثم أكد أن مصر المستقلة ، بعد أن أدرك أهلها حقيقة الإنجليز ، لا يمكن إلا أن تكون موالية لبريطانيا .

٧ اعترض عن عدم الخوض في تفصيلات نظام الحكم لمصر المستقلة فالتعير المطلوب لن يكون نتيجة ثورة تقوم على أساس من آراء أو مبادئ معينة ، وإنما سيكون وصفا تفرضه قوة قاهرة على شعب مسالم جاهل لا يكاد يحرك أفرادهم سوى عاطفتي المصلحة والخوف . ومن ثم فيكفى أن ترفع الحكومة الجديدة قليلا من المستوى المادي للشعب لتتأيد به ومساندته . ولا شك أن أي نظام للحكم سيكون أفضل من

صت (S. Vincent) وزير البحرية البريطانية . وقد أثر إدموندس أن يرفع مذكرة لاسكاريس رأسا إلى الوزير متخطيا رئيسه المباشر اللورد كيث ، مع أن هذا هو ما كان معروضا أن يحدث ، وهو نفسه ما طلبه يعقوب لاسكاريس من إدموندس ، وذلك أخذا بالأحوط وإبراء لدمته ووفاء بعهده . وقد برر هذا التخطي الإداري في رسالته إلى الوزير في بدايتها ونهايتها . لقد بدأها بقوله « استبعت لنفسى أن أرفع إليكم مباشرة المذكرات لرفقة بكتاتى هذا اعتقادا منى بأنه قد يكون من المنفذ لحكومة بلادى أن تعلم أن بعض الأشخاص الذين بظفون على أنفسهم الوعد المصرى موجودون الآن في باريس » . وحتم الرسالة بقوله « ... ولجت من الضرورى إطلاعكم رأسا بهذه المذكرات والمعلومات ، إذ قد يمضى بعض الوقت قبل أن نتاح في فرصة إطلاعها أولا إلى قائدى العام اللورد كيث ، وامل أن تتمضوا فتقدروا مسلكى هذا » .

حصن القيصان إدموندس رسالته التى قدم بها المذكرات إلى الوزير خلاصة موجزة لما حدث به يعقوب ، بعد أن أشار إلى أنه من دعاء طائفة الأنباط وله فيها عوذة كبير ، وأن الفرنسيين جعلوه قلدا لتبلى من أبناء طائفته ليألوا تأييده . وأكد أنه أعطى موثقا لحدثه بألا يستخدم هو أو تستخدم الحكومة البريطانية ما أتيه به استخداما يمكن أن يسيء إليه هو ومن معه . ولكن إدموندس أبدى تحفظه إزاء نقطتين :

١ - فقد تشكك فيما ذكره له لاسكاريس الذى كان يترجم يه وبين محدثه من أن يعقوب يرأس ولدا فوحه أعيان مصر لمؤسسة الدول الأوربية في استقلال هذا البلد . لا يمكن تقدير مدى ما يحمله ( الوعد ) من موهب وما يملكه من صلاحيات .

٢ وكذلك تشكك في حقيقة الدور الذى يقوم به لاسكاريس . فهل هو عضو في هذا ( الوعد ) أم أنه مجرد سكرتير مخرج

المصريين يوجون أن تدبر هم الدول لمعاينة صمانا بقمهم شر انتقام السلطات التركية إذا ما رجعو إلى وطنهم

١٢ - حذر من تسرب خبر هذه « المفاوضات » إلى فرنسا أو إلى أى طرف آخر يمكن أن يعرقل ما تمهد له من « معاوضات » محطة الوعد هي إصاع الجانب الإنجليزي أولا بمشروعه ، والسعى لأن تكون فرنسا نفسها هي البائدة بعرض المقترحات الأولى على بريطانيا . وبذلك لا يتعرض المشروع لرفض الإنجليز بسبب العلل بينهم وبين الفرنسيين ، أو بسبب دمية من جانب فرنسا

١٣ رتب طريقه الاتصال بالوعد المصرى في باريس باستخدام « سيرة » خاصة ، وعن طريق صديق للوعد يقم بأوروبا ( وهو مصرى قبلى اسمه أنطون فسيس حمل طفولا في خدمة امبراطورية الحب مستظلا بحمايتها في مصر ، ثم استقر في فرنسا وأصبح يدعى الكونت أنطون كاسيس : A. Cassis ) .

وينتج الفصل الثانى من القصة بإقلاع إدموندس بسفينة إلى جزيرة مينورقا غرب البحر المتوسط ، بعد أن يكون قد أدى المهمة الأساسية لرحلته ، فأخرج حولته البشرية بما فيها جيشان الجنرال يعقوب على الأرض الفرنسية

\* \* \*

ويتسع مسرح الأحداث في الفصل الثالث ليحتد من مباء مرسيلى في جنوب فرنسا إلى جزيرة مينورقا التى رما بها إدموندس قبل ظهر السميحة بالاس هناك أول القبطان لإعللى بما وعد ، فرفع مذكرة لاسكاريس مرفقة برسالة مؤرخة ٤ أكتوبر دمجها إلى إيول سانت

ليونابرت « مبصرون لمصر من النظم ما يرصاه هذا الفصل الأول .

— تنق ليونابرت ومناشدته له لأن يتبرل فيمد يد المساعدة  
« للمصريين المتعساء » الذين حطم في الماضي أعلاهم ثم عادوا يعودون  
بها من جديد ، من أجل مجده والمصلحة فرنسية

— إشارة إلى « الفتح العظيم » الذي ماله ليونابرت ثم عقده ( بالجلء  
عن مصر ) ، وتأكيده أن القائد الفرنسي إذا أيد في اتفاقيات الصلح أن  
تكون مصر مستقلة ، فسوف يحوس هذا الموقف خسارته تلك المرة  
مرة .

ولم يكف لاسكاريس بهذه المذكرة التي حاول بها إقامة جسر بين  
المهاجرين المصريين والحكومة القصلية في باريس ، وإنما أودعها بمذكرة  
أخرى إلى مالبراند (Talleyrand) وزير الخارجية الفرنسية ومعها  
كذلك « نمر الحدي » . وفي هذه المذكرة :

— إعلان لولاء الوفد المصري — الذي فقد رعيته يعقوب — وجه  
لجمهورية الفرنسية

— وجاء إلى الوزير الفرنسي بأن يتعصل ويضع الوفد وجموعه  
مهاجرين في كلفه وتحت رعيته

— تأكيد أن الوفد المصري يمثل شعب مصر تمثيلا كاملا ، ويعبر عن  
أمانى هذا الشعب وما أجمع عليه .

— تحديد مطالب المصريين في نقضين . سحر القوة العاشية التي  
عادت تستبد بهم من جديد ، والاعتلاء على فرنسا في تحقير هدفهم  
الذي يخدم في الوقت نفسه مصلحة الجمهورية الفرنسية ذاتها

تكرار ما نصصته المذكرة الموجهة إلى القصل الأول من أن  
فرنسا تستطيع عن طريق الاستماع إلى هذا الوفد قبل توقيع اتفاق الصلح  
مع بريطانيا ، أن تعرض ما خسرتة بالجلء عن مصر ، وأن تحتفظ بالأبد

يعقوب ثم وصف لاسكاريس بأنه وجس « معرق في  
الخيال »

وهذان الوثيقتان ( مذكرة لاسكاريس ورسالة إدموندس ) مازالتا  
محتوضين بورلاند الخارجه البريطانية . وكان أول من أشار إليهما الأستاذ  
سابق عمر بالو ولؤل من قديما بصيحا ( في كتاب طبع بمصر ) المؤرخ  
الفرنسي جورج دولك (G. Douin) (٣٤) .

ثم على الطرف الآخر من المسرح ، فقد شمل المهاجرون الذين تولوا  
جس الشطى ، الفرنسي بتسليم حثان يعقوب إلى مشر « الأخير في مقبرة  
مديسيه » وبما كانوا يسمون بالإجراءات الصحية بمحجر امياء كان  
لاسكاريس يعد لشهد جديد . فقد بدأ بخطوة أخرى يكمل بها  
محاويلته الأولى مع حكومة الإنجليز ، فحرر مذكرة بالفرنسية كذلك  
إلى « القنصل الأول » ليونابرت . ولكنه لم يخطه لم يوقع عليها ، وإنما  
جعل التوقيع لشخص آخر من جماعة المهاجرين المصريين هو « عمر  
الحدي » ، وذلك « نهاية عن الوفد المصري » ، وصاحب هذه  
الشخصية التي ظهرت فجأة على مسرح الأحداث والتي تسر وراءها  
لاسكاريس هو موري مسيحي كان يعمل مترجما للغات الشرقية في  
مصر ، واسمه لطفى ( أو لطفى الله ) عمر (٣٥) .

وتتضمن هذه المذكرة الموجهة « إلى القصل الأول للجمهورية  
الفرنسية من الوفد المصري الذي يكن به أعظم التقدير » التقاعد التالية

إشادة بتأريخ مصر لتقديم وحصلوها التي كان يتلقى عنها دروس  
العلم والمعرفان مشرعو الإغريق ( مثل سولون ) .

— تنويه بإعجازات الجمهورية الفرنسية الناشئة في الحرب والسلام ،  
وخاصة تحت حكم ليونابرت .

إن الوفد المصري الذي هو فيه لمصريون « الباقون على ولائهم



على ظهرها ؟ أم هو لاسكاريس صاحبه ومترجمه الذي نقل قبحوى أحاديثه إلى بطلان السميه ثم صاغها في تلك المذكرات فيما بعد ؟ أم اشترك الرجلان في هذا العمل ؟ ثم . هل كان هناك حقا « وفد مصرى » ضمن جماعة المهاجرين من مصر ؟ وهل هذا الوفد معروض من قبل الشعب المصرى أو من قبل قطاعات معينة فيه ؟ ومن الذى فوضه أو أوامره بالصبط ؟ لتأمن ما يلى من ملاحظات ، نأمل فيه ما يجيب عن هذه التساؤلات :

١ - إذا كان يعقوب قد عبر عن أمسه في استقلال مصر أو عبارة أصبح في استصلاحها عن الدونه العتيبة ، فليس هذا مستبعد على رجل كان له ما رأينا من مرعات وطموحات ومواقف غير أن المشروع يلمس بعض الأفكار الفلسفية والحقائق التاريخية والسياسية التى تدل على شيء من حلفيه ثقافية بحسب أن يعقوب كان يحكم بشأته وتكوينه أبدا ما يكون عن اكتسابها . ونكفى الإشارة إلى ما ورد من مذكرات عن حصرة مصر القديمة وصلها باحضارة اميونانية ، وعن المشروع سوبوت ، وعلاقات مصر بأفريقيا ، ومركز بريطانيا بالحد ، ونظام حكم الفرنسي الخ ، ليرجح لدينا أن وراء هذا المشروع أفكار لاسكاريس لا يعقوب .

٢ - إن لاسكاريس كما علمنا هو الذى سبق أن تقدم إلى الجنرال متو بمشروع مشابه لاستقلال مصر لم يقتنع به القائد الفرنسى وأصبح صاحبه سحرية .

٣ - إن المشروع بما رده من أوامهم وما قدمه من مقترحات غير واقعية أكثر اتفاقا وشخصية لاسكاريس المسرف في الخيال الذى « يعيش في عالم كامل من أحلام اليقظة » وذلك مثل إنشاء القوة الأجنبية المرتقة ، واتفاق الدول الأوروبية على ضمان استقلال

بعودها السياسى في الشرق .

— تأكيد أن فرنسا يمكنها أن تمد نفوذها نحو أواسط أفريقيا بواسطة مصر التى لن تكون إلا موانئ لها « وهكذا يتحول تركبكم مصر للإبحير من سكة إلى سبب تحد لفصل الأول ومصدر رفاهية للأقاليم الفرنسية »<sup>١</sup>

— مشاهد الوزير أن يستقبل الوفد المصرى في باريس ويستمع الى تفصيلات ما أجمعه في رسالته ، وأن يتمصل فيعمل على أن يصل رسالته لأخرى المزموعة الى الفصل الأول ، وأن يتناول هذا بالرغم من غير وفته فيقطع عليه

وهذان المذكرتان أو الرسالتان ما زالتا محفوظتين بوزارة الخارجية الفرنسية وقد ورد ذكرهما لأول مرة في مقال كتبه المؤرخ الفرنسى لو با . (Auriant) عن لاسكاريس عام ١٩٢٤<sup>(٢٦)</sup> ، ثم ترجمهما بـ « جمع سوابق الأساد شقيق عربال وأخيهما يبحث المشار إليه من فيا

\* \* \*

تلك المذكرات ، سواء ما اتخذ منها طريقه إلى لندن أو ما أرسل إلى باريس لتكون في مجموعها ما سماه عدد من المؤرخين « مشروع استقلال مصر » ، ونسبوه إلى الجنرال يعقوب رئيس الوفد المصرى ومن ثم رأى بعضهم أن يجسوا هذا الرجل لأنه سبق عصره بأكثر من قرن فحصل في جعبته وهو يفكر مصر « مشروعا خطيرا هو مشروع الاستقلال الأول » .

وبدئى دى بدء يعنى أن محمد صاحب هذا المشروع . فهل هو يعقوب الذى مرهين بعد يومين فقط من إبحار السفينة التى غادر مصر

٧ - إن إيمان إدموندس بذكرات لاسكاريس بن رتبته الأعلى مباشرة لا تذل أبدأ على تضاعف شأنها شخص حديث يحقوب الذي نجده « منجد الجيد الخطير » كما يقول الدكتور لويس عوص (٣٧) . فلم يكن في وسع القضاة الإنجليزي أن يعمل هذه المذكرات مهما كانت شكوكة في جديتها أو أهميتها ، فهو جتدى رأى من واجبه أن يحظر سلطات بلاده بما حدث على ظهر سفينة في تلك الأيام المخرجة ، وعاصمة أنه لم يكن لديه أية حيرة أو معرفة سياسية بحقيقة الأحداث وتطورها . ومع هذا فقد أعرب إدموندس عن تحفظه ( أكثر من مرة ) إزاء صفة لاسكاريس وحقيقته العلاقة بينه وبين المصريين المهاجرين . وإزاء مدى ما يبدى الوعد المصري من تعويض . كما وصف لاسكاريس بأنه رجل حذم واسع الخيال . وإذا كان إدموندس قد ذكر في رسالته لرئيسه أن الخيال يحقوب أبلعه بكبد أو أعرب به عن كذا فلم يكن - كما نعلم - ينقل عنه مباشرة ، وإنما كان يردد ما ذكره له المترجم لاسكاريس . وليس من المستبعد أبداً ، بعد ما تبين من عبارة أطوار لاسكاريس ، أن يكون قد حرف أحاديث يحقوب لكي تلائم أغراضه . ولو كان إدموندس قد علم بما يدبره لاسكاريس من انتهاز مصاد بالمستولين الفرنسيين لما أعار مذكرته إلى الوزير البريطاني أدنى اهتمام ، ولأصبح أكثر إدراكا لحقيقته ذلك الفارس الخيالي الذي يبارز طواحين الهواء !

٨ - لا يوجد أى دليل على أن مجموعة المهاجرين من مصر كانت تضم وهذا معوصا من الشعب أو من أية طائفة ذات ثقل من صوائمه . فإذ كان علماء الأهر ومن إليهم مثلاً قد هوصوا من بين المهاجرين من يتحدث باسمهم ، فلم يكن الخبيرى ليضع تسجيل هذا الحدث ، وهو الذى سجل من أحداث تلك الأيام

مصر ، وتقدير شعب مصر للإنجليز وإدراكه لقوتهم ، وأن مصر لمستعنة لا يمكن إلا أن تكون موالية لبريطانيا !

٤ إن يحقوب الذى تعاون مع الفرنسيين في إنشاء احتلالهم لمصر إلى أقصى حد كما رأينا ، وأحبهم وفصل أن يترك بلاده ويلحق بهم عند جلائهم عنها ، لا يعمل أن يحول قبضة إلى قم هؤلاء الفرنسيين والسيدة بأساليبهم في حكم مصر ، ورأى الإعتاب بريطانيا وإظهار الولاء لها ، وماشدتها العمل على تحقيق استقلال بلاده ، ثم محاوله تأليبها على فرنسا وحتى إذا سلما جدلا بأن يحقوب قد عمل بولائه فعلا إلى الانجليز ، فكيف يمكن أن يكون في الوقت نفسه وراء المدكرين الفرنسيين زل يوسبر وبالمزاج ؟

٥ إن الناقص البين ، والذي يثير السخرية ، بين ما كتبه لاسكاريس للإنجليز وما كتبه للفرنسيين يدعو إلى الشك في جدية الموضوع . فلا يقبل العقل أن تصرف مفاوضات سياسية يحدث عن استقلال شعب هذا التصرف اليهودي الذى يتفق تماما وشخصيه لاسكاريس لا شخصيه يحقوب الذى لم يكن خياله يوما ، بالرغم من طموحاته ، في جموح خيال صديقه وإنما كان دائما يمسوكة وتصرفاته رجلا جريئا معتد بنفسه تطلب عليه السرعة العملية ، وإن كانت أحيانا غير متبصرة

٦ إن ملازمة لاسكاريس ليحقوب بضعة أشهر قبل جلاء الحملة لا تعنى مطلقا أنه غير في مذكراته تعبيراً دقيقاً عن آراء يحقوب ، كما وهم بعض المؤرخين ، فلم يكن ظروف مصر في تلك الأيام لتبني عن تلك التعيرات والأحداث التي وقعت فيما بعد ، حتى يحضر على بدل رجل مثل يحقوب أن يتصل بالانجليز ليصرح عنهم مشروعا ما

الأقباط ونصارى الشام والمترقة وبعض المسلمين الذين يحشون  
مواجهه سلطات الحكم العائد كمبدأ الحال أغا الأمكنة .  
ومثل هؤلاء لا يمكن أن يعتبروا بأي مقاس وهذا مصرها  
يتفاوض من أجل استقلال مصر .

ومن هنا فالحديث عن « وفد مصري » يمثل مختلف طوائف مصر  
ويترجمه يعقوب ويتفاوض من أجل استقلال البلاد بملء معونة وأهبة  
تعتز إلى السند والبرهان

ما هو أقل أهمية بكثير وليس هناك ما يدين على حصول  
يعقوب على تفويض من رضاء القبط . فلم تكن لأي منهم  
احتياجات سياسية أو تطلعات مثل تطلعات ربهلم الطموح ،  
وإنما كانوا دائما يؤثرون السلامه والهدوء عن المشكلات . ولم  
تكن مثل هذه الخطوة كذلك لتعوت مؤرخا كاجيرنى أو من  
أرجوا للحمة من الفرنسيين . لقد اجتمع يعقوب قبل رحيله  
بعلا بعدد من زملائه كبار الأقباط . ويقول الدكتور بوبس  
عوض مطلقا على ذلك بما يوحى بره هذا الاجتماع بمشروع  
الاستقلال « ولا نعزم على وجه التحقيق ماذا دبر في هذا  
الاجتماع ، وهل كانت له صفة سياسية أم أنه كان قاصرا على  
مناقشة المسائل المالية ، ولعله أطلعهم على مشروعه  
ومواياه<sup>(٢٨)</sup> » . هذا مع أن الأستاذ شحى عربال أثبت نقلا عن  
حمصى وغيره أن هذا الاجتماع كان لتفويض يعقوب في مصلحة  
الحكومة الفرنسية برء مبلغ من المال أقرضه كبار الأقباط  
لجبراله مو عندما تأرمت أحوال الحملة في أواخر  
بهاينا<sup>(٢٩)</sup> .

كان يعقوب في حقيقة الأمر هاربا أو مهاجرا من مصر ، ولم  
يكن له في وطنه قوة أو شعبية يعتمد عليها ويسند في موضوع  
حظير كالتفاوض من أجل الاستقلال مع القوتين العظميين في  
ذلك الوقت . حتى ميثقه القبطى كان قد تشتت بددا كما رأينا  
من رحيمه . وانصى ما كان يتصور أن يراود يعقوب عندئذ  
من آميات شخصيه هو أن تسلم مصر عن دولة الخلافة  
العثمانية ، وأن يصبح تابعة لدولة كبرى تخصص أقليم ومروء  
عهم مطوعة الأعبيية

١٠ كان المهاجرون لذين رحلوا في دين الحملة الفرنسية أمثالا من

فرنسا أو غيرها . ولحأت بريطانيا كذلك إلى استئالة عدد من المماليك الذين عادوا من سوريا مع القوات العثمانية إلى جانبها ، فتكون من هؤلاء — لا من الأقباط أو غيرهم من الأقليات — حزب موال للإنجليز برعامة محمد بك الألفي . وقد سافر الألفي مع القوات الإنجليزية المنسحبة ، وبقي في لندن مدة اتفق خلالها مع المسؤولين البريطانيين على أن يمكنوه من تولي السلطة في مصر مقابل منحهم بعض الامتيازات ، مثل حماية السواحل المصرية . غير أن حزب الألفي فشل في تحقيق هذا الغرض ، واستقر الأمر في مصر ل محمد علي . وأخيرا وجهت بريطانيا حملتها المعروفة بقيادة فرزند لاحتلال مصر عام ١٨٠٧ ، ولكنها ردت على أعقابها . وظلت بريطانيا — كما نعلم — طوال معظم سنوات القرن التاسع عشر تحمل على احتلال مصر وتقوم بالعودة الفرنسي فيها ، حتى تمخبط في احتلالها عام ١٨٨٢ .

وفي فرنسا لم يكن حظ مذكرتي لاسكارس بأفضل من حظ مذكرته المنطولة إلى الحكومة البريطانية . فلم يجد جونابرت ولا نابليون أدنى اهتمام بالرسالتين ولم يأخذ ما جاء فيها مأخذ الجد ، وتم تحويلهما بدورهما إلى مجموعات ووزارة الخارجية . وهذا أيضا بالرغم من جهود فرنسا للضدة لجهود بريطانيا في محاولة الاستئثار بشي من النفوذ في مصر . فقد كان لفرنسا بدورها حرب من المماليك برعامة عثمان بك البرديسي ، ولكن حظه لم يكن بأفضل من حظ حرب الألفي في مواجهه نجم محمد علي الصاعد . ومن خلال العلاقات مع حكومة محمد علي نفسه حاولت فرنسا من طريق قصدير الخبرة والثقافة لا الاعتماد على الأقليات ، أن تتسلل إلى مختلف الجماعات في دولة مصر الحديثة التي أعادها ذلك العامل الكبير . ثم تابعت محاولاتها في عهد خلفائه حتى تيممت مناسبتها الكبرى في احتلال البلاد أيام بونابرت .

وعلى أية حال فقد انعقدت الدولتان في معادئات الصلح على إعادة

## خاتمة الفصل

ليس سبت أحدث هذه القصة اثيرة ؟ إن هذا التساؤل الذي يحرص منه لاد ينقلب أن يجيب عن شقين : ما الذي أدت إليه هذه الاتصالات ، أم بالأحرى محاولات الاتصال ، مع حكومتى القويين لعشبيين في ذلك الزمان ، بريطانيا وفرنسا ؟ ثم ماذا كان مصير صحف ، ومنهم أولئك الذين خرجوا من مصر مهاجرين إلى غيرها ؟

• إن مذكورة لاسكارس المرفوعة إلى الحكومة البريطانية ، بالرغم من أنها من ضببات إجرائية ، لم يكن لها أثر أو صدى على أي مستوى . فقد أهمل أمرها تماما ، وانكسرت مكتب وزير البحرية البريطانية بمحتوياتها ، للإيداع في مجموعات وزارة الخارجية . وهذا بالرغم من أن بريطانيا لم تكن ، من حيثت مع العثمانيين في إحراج فرنسا من مصر ، عن السعي لمحاولة احتلالها أو إقرار نفوذها فيها . فقد بقي الأسطول الإنجليزي في المياه المصرية وبقيت بعض القوات الإنجليزية في مصر حتى سنة ١٨٠٣ . وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا جهودها الدبلوماسية مع الباب العالي لمنع وقوع مصر بالذات في يد

اللغة الفرنسية للأمرء ، وبخاصة إسماعيل بن محمد علي ( الذي فتح السودان وهناك قتلته ثم ملك شتدي ) . ثم مات لاسكاريس في القاهرة عام ١٨١٧ في ظروف مريبة . وقيل إنه مات مسموما على يد أحد رجال محمد علي لأنه أقحم نفسه أكثر من اللازم في المسائل السياسية وهكذا كانت نهاية الرجل الخيالي المعاصر ، الذي بدأ وانتهى كما وصف نفسه « صاحب مشروعات » .

مصر لحظيرة الدولة العثمانية . وتم إدماج هذا الانصاق في معاهدة الصلح النهائية التي وقعت في أميان (Amiens) عام ١٨٠٢ . وخلال السنوات التي أعقبت انسحاب الحملة الفرنسية لم يدر في جلد أي من القوتين المتنافستين على مصر خاطر يتصل بتطوير ما في بنية الحكم يعنى نونا من الاستقلال أو الرفاهية للشعب المصري ، أو يرفع عنه شيئا من مظالم اماليك أو استبداد الحكم العثماني ، كما جاء في مشروع الاستقلال المزعوم

« أما انه جردى الدين أهلهم القرفاضه بالاس الى الشواطيى بالفرنسية فقد كان مصيرهم التشتت والصياح . لقد أعففت الحكومة الفرنسية امرهم تماما ، ولم يستقبل منهم أحدا ، ولم يعرفهم المسئونون أى اهتمام ، عاد نفر منهم لموضع يعد قليل ، وظل الباقيون هناك سبي لعمرك والعاقه ، بل إن بعضهم - كما تبين وثائق وزارة الخارجية في باريس - لحا إلى السلطة الفرنسية مستجديا لمصحتهم احكومه الفرنسيه معاشا ، وانتهى أمرهم بأن دأبوا في المجمع الفرنسي<sup>(٤٠)</sup> . ولم يترك أحد منهم في التاريخ ذكرا إلا الساب القسطنطين « إيلوس بقطر » ، الذي كان في الثامنة عشرة عندما انضم إلى قاعته الراحلين عن مصر ، فقد تعلم بالإوس الفرنسية وأجادها واشتغل بالترجمة والتدريس في باريس نحو عشرين عاما تمكن خلالها من إعداد أول قاموس فرنسي عربي ثم طبعه بعد وفاته<sup>(٤١)</sup> .

وأما درسنا الدون كوشوق ، الثيبيل البيدمونتي<sup>(٤٢)</sup> الحالم لاسكاريس ، فقد ظل كما قال الأستاذ شفيق غوبال « يضرب في بلاد الشرق مسير ، جرد دمه بالمشروع بلو لمشروع ، أحيانا لإصلاح الزراعة في بلاد المرقز وليان ، وأحيانا لتدبير مستقبل الجيل السياسي أو لتسوية مشكلة الوهابية . وهو أيضا حل بحوطه جو من الظنون والآرتياب من جانب الرجال الرسميين ، وحطه الحرف والعاقه<sup>(٤٣)</sup> » . وانتهى لطائف بالمدارس المعاصر إلى مصر ، حيث أخذ يتكسب يتعلم

في هذا كله على عدد وهو من المراجع والوثائق

وليس من العسير في ضوء ما تقدم أن نحاول الإجابة عن السؤال الذي كان محور هذه الدراسة ، وهو : هل يعقوب حائن لقومه وبلاده ، باع نفسه للمحتل العاصب ونعاني في خدمة مصالحه ؟ أو هو - على النقيض - بطل وطني وضع أول مشروع لاستقلال مصر ، وسبق به الحركة الوطنية المصرية بعشرات السنين ؟

يسمى أن نقدر أولاً أنه لم يكن قد تبلور في مصر في ذلك الوقت شعور وطني خالص ، لقد كان هناك إحساس عميق بالانتماء إلى هذه الأرض والاعتزاز بجرائها الحضارى المشترك من لغة وتقاليد وعادات ، ولكن على أساس أن مصر جزء من « دار الإسلام » بمايش فرق أرحبها شعب عاليته من المسلمين مع أقلية من الدمييين الذين حددت شريعة الإسلام حقوقهم وواجباتهم ، دون ما تعصب أو تطرف ومن هنا فقد قاوم المصريون الحكم الفرنسي وثاروا عليه في القاهرة وعختلف أنظار الوجه البحري والصعيد ، ولكنهم كانوا يوجه عام متقيلين للحكم العثماني المملوكى بالرغم من مساوئه . وكانوا أحياناً ما يقاومون بالقصص والاحتجاج والسخط طغيان وال أو ظلم مملوك ، ولكنهم لم يقوموا بأية ثورات شعبية « وطنية » على شكل السيادة أو نظام الحكم

وتم يشهد التاريخ طيلة ما يعرب من ثلاثة قرون قبل مجيء الحملة إلا محاولتين فرديتين للانتفاض على السيادة العثمانية أو الطغيان المملوكى أوهما معا ، كانت أولاهما ثورة همام بن يوسف رعيم قبائل الهوارة بالصعيد ، الذى استغل بالمطقة الممتدة من المنيا حتى حدود مصر الجنوبية حوالى عام ١٧٦٥ ، ثم كسر على بك الكبير شوكته وقضى على حكمه بعد أربع سنوات . وكانت المخلوثة الثانية على يد على بك الكبير نفسه الذى كان شيخاً للبلد ، أى رعيماً للمليك مصر ، وتمرد على سلطة الباب العالي واستقل بمصر عام ١٧٦٦ . ولكن ما لبثت هذه

## وبعد...

فهذه قصة النعم يعقوب ، المصرى القبطى ، الذى عاش حياه امتدت ستة وخمسين عاماً ، دأب فيها لخدمة العبي والترفع ، وبتبع بالجه والسود ، وحارب من رعياء طائفته للمقوقين . ولكن سيرته في الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته وحدها كانت حديث الناس في أثنائها وبعد انصافه لقد كانت تلك الفترة الزمنية على قصرها حافلة بالأحداث التي تركت أثر غميمة في حياة البلاد . ومنذ بدايتها احتار يعقوب اسمه بهج وصحاح بعد عنه ، ربط فيه نفسه بخدمة الفرنسيين ومكاتبهم ومصرهم ، وتنادى في هذا إلى أبعد حد ، حتى أنه وجد من استغنى أن يرحل مع قوافل الحملة بعد أن تجاوز أحلام قاداتها وميت مشروعاتهم في استعمار مصر بالمثل

وتقد حاولت هذه الدراسة بكل موضوعية سيرة يعقوب منذ نشأته ، وتعرضت لكوناته شخصيته ، ثم ركزت على تلك الحقبة المميقة العريضة وعم قصرها ، فصلت القول في سلوك يعقوب ومواقفه في إطار المنعبرات التي حققت وجه الحياه في مصر إبائها ، وفي من القفرورف التي صاحبها أحداث الحملة وتفاعلت معها واعتمدت

أنى هذا الموقف على يعقوب أن يحارب في صف الفرنسيين ضد المصاليك الذين عمل من قبل في خدمتهم ، وأن يتحمس لتكوين الجيش القبطي ويشترك به في عمله على يد مع الفرنسيين ضد الوجود العثماني في أواخر عهد الخسة . ولقد رأينا كذلك كيف كانت مصر مائة ، من مركز القوة ضد مواظبه المسلمين

لقد ساء يعقوب بكل ثقله وإمكاناته العراة الفرنسيين وعلمهم في إحكام قبضتهم على مصر ، ولخصى بقوتهم ، وحسب أن حكمهم بداية لمحنة جديدة سوف تغير فيه موارد القوى ويصبح للأقلية القبطية عب الحماية الفرنسية مكانة متعوقه تتدرب وما قدمه هو وبيته لسلطات لحمله من خدمات . ولقد رأينا في سيرة يعقوب خلال سنوات الحملة الثلاث كيف امرج بديه الضموج الثاني والظامع الشخصية بلك النظرة البعثية عبر البصيرة . وعندما بات مصر الحملة في مصر واضحا أثر يعقوب الاسحاب من الساحة ، ولم يلب أن واده أجله

أما أحاديث يعقوب على ظهر الفرقاطة « بالاس » مع قبطها الإنجليز ، فلا تبدو أن تكون من قبيل الأحاديث المصوية العابرة وقد أوضحت هذه الدراسة دور لاسكريس في نقلها وصاغها حتى تحولت إلى مذكرات كان مصرها لحفظ في أعيان ودارني اختيارية في لندن وباريس

ومن التجاور الشديد ، بل ومن الشغل اللاموصري أن نظر إلى هذه المذكرات أو إلى شق منها كما فعل بعض المؤرخين ، باعتبارها أم مشروع لاستغلال مصر ، وأن نسب هذا المشروع إلى الخمرار يعقوب ، وأن ينظر البصير يعقوب إلى مصاف الأبطال الوطنيين . إن يعقوب لو كان قد فكر بالفعل في مشروع لاستغلال البلاد لقدمه إلى قواد الحملة في تلك الفترة لحافلة التي سيقف حذاء

محاولة مسورها أن أجهضت بعد ما لا يزيد على ستة أعوام . وقد أدرك يونانرب ذلك تماما منذ بداية حملته ، فحاول من خلال مشوراته إلى المصريين أن يضرب على وتر المشاعر الدينية فيؤكد حرصه على احترام الإسلام وتوحيده علمائه والاعتراف بسيادة السلطان العثماني « خليفة المسلمين » ولكن الفالذ المخاقل لم يجمع في هذه المحاولة التي لم تخدع أحدا ، ولم يجد بيئة صالحة تؤثر فيها ثمارها . وكل دارس لتاريخ مصر حديث يعلم أن الشعور القومي المصري ، أي الشعور بالانتماء الوثيق إلى هذا « الوطن » ذي القومات المروقة المجددة ، بكل أبعد هذا لانباء ، ظل مخرجا امتزجا قويا بالشعور القديسي ، أي بالانتماء إلى دار الإسلام الواسعة ، بكل ما يفرضه هذا الانتماء من التزامات ، حتى ساعدت الظروف السياسية والاجتماعية على أن يبدأ تبلور الشعور « القومي » بالسياسي الحديث بعد عهد الحملة بعشرات السنين .

وفي ظل تلك الظروف ، كيف تقوم مسئلة المعلم يعقوب ؟ إنه م يكن مجرد حثي نفوسه وبلاده ، موصفه بذلك هو من قبيل إطلاق الأحكام العامة التي تعتقر إلى التحديد . والأدق أن يوصف بأنه منشق على مصام الحكم القائم وبيته رافض له . ولكن ما أفسد إلى موقعه أبعد لإساعده أن هذا الاشتقاق أو الرفض اتخذ من البداية بعدا عاطفيا مدعوما ، فبالا عما امتزج به من ظموحات شخصية .

لقد رفض يعقوب إذ وافته العرشه أن يستمر في الخصوع لنظام حكم الإسلامى ، الذى كان في رأيه يمثل طمعان الأغلبية على الأقلية ، وفي قلبه مصهده مناقته القبطيه وتمنن حقوقها . وانشق يعقوب على أمته فصانع كما رأينا الحواكم العرفسى منذ البداية وذهب في مصانته إلى أبعد مدى . وكان له من رفضه وانشقاقه موقف لم يمد عنه ، بل واج يتبر كل فرصة لإثباته وتأكيد ، وهو موقف اتسم بنظرة طائفية متطرفة كانت لها مظاهرها التعصبية الحادة .

سخر من يعقوب ومشروعه أن يعمل الإشارة إلى مدركي لاسكاريس المعروفين بل بونايرف وتاليران والفتن وقعهما غير بعيد ، مع أنه رجع إلى تحت الأستاذ شفيق غربال الذي أورد نص هاتين المذكرتين وناقشته في أكثر من موضوع ، وليس هذا من الأمانة العلمية في شيء ، ولو كانت مناقشة للدكتور قد امتدت إلى هاتين المذكرتين لمودر على نفسه وعلى قرانه الكثير مما قدمه تمجيدا ليعقوب ومشروعه ، فمجرد وجود مشروعي متناقضين بهذه الصورة يكفي — كما أوضحنا — لإلغاء الصوء على أهم أحداث تلك « المسرحية البحرية » التي أسلفنا عرض مشاهدتها ، ونقوم أدق لكل من يعقوب ولاسكاريس وأفكارهم عن مصر ومستقبلها

والأسر الذي لا يبدل فيه أنه إذا كان المعلم يعقوب قد مرع ، إبان الحملة الفرنسية بحسب ، إلى شيخ مصر عن الدعوة الثأرية ، فقد كان هذا البروع من خلال نظرة ضيقه أمانتها عاطفة فتاتية لا وطنية فيها ولا بطولية ، وغناها طموح شخصي يستهدف تحقيق مافع ذاتية . والبارخ يسجل لنا على أنه حال أن يعقوب لم يهرد وحده في تلك الأيام يمثل هذا الزرع الذي يعبه طموح شخصي والذي لا وطنية فيه ولا بطولته ، بل عما هذا المنحنى غيره من شخصيات مصر البارزة ، وإن خلا نزوعه من العاطفة الدينية

تقوات العربية ولاست أن صلة يعقوب بهؤلاء القواد وما توارى يديه عنده من إمكانيات كانت تسمح له بذلك في الوقت المناسب . بل به كاد يستطيع أن يقدم ديت « المشروع » إلى الخيال بليار أو غيره على سحر السببية بدلا من التثرثر فيه مع القبطان الإنجليزي ولعل انتفاض الواضح بين فكرة الاتصال بالمسؤولين الإنجليزي لتحقيق ما سعى حصره الاستقلال وبين الاتصال في الوقت نفسه بالمسؤولين الفرنسيين ، يؤكد ما سبق أن حصلت إليه الدراسة من نسبة ما حدث إلى لاسكاريس ، الرجل الخيالي الخالم الذي عاش ومات « صاحب مشروعات »

فقد رفض الدكتور لويس عوض فكرة أن يكون لاسكاريس وراء مثل تلك كرات وجرم بنسبها إلى يعقوب ... الذي كان على رأس مجموعة من « المفسرين المصريين » يمثل « وفدا مصرية » . وذهب للدكتور لويس عوض في الإسالة ليعقوب ومشروعه والحماس ، ما هما انفراد به دون سائر من كتبوا عنه من المؤرخين والباحثين ، إذ وصفه بأنه يمثل مدرسة في الوطنية والكفاح القومي تعادل — في تلك الأيام — مدرسه عمر مكرم ومن إليه ، وإن احتشد سبيل كل منها واحتشد ملعبه في الفكر والفعل . وقال إن يعقوب وفيلقه القبطي تودح شائع في عهد بونايرف ، وفرد بينه وبين من تطوعوا في صفوف جيش الفرنسي من الأوربيين إيمانا منهم بمبادئ الثورة الفرنسية . ثم وصفه مشروع استقلال مصر الذي وضعه يعقوب والإخوان « الاستعلاويون » بأنه موضوعي ووعني ، وأنه يتنى مع مصالح البلاد الأساسية . وحذر الدكتور لويس عوض مناقشته الطويلة بأن رفع بهعرب إلى مصاف أبطال مصر وقادتها العظام ، فاعتبره حقة في سلسلة الزعماء الذين شاركوا مجيهم في الكفاح من أجل استقلال البلاد من على مث الكثير إلى جهان عهد الناصر . . . ! ! !<sup>(٢٠)</sup>

ويعتبر أن الدكتور لويس عوض تعتمد في حديثه المطول ودفاعه



## الملك العميل

كان مراد بك - الذي فر إلى العبيد أمام قوات جيش  
العثمانيين - هو : ميله إبراهيم بك عن مقاومة العرو الفرنسي  
من مسيرف القاهرة ، قتل يهودي ، ويوس نواب ديسيه لثوبه في  
لورد القوي قبل ان يوقع اتفاقية « سلام وتحالف » مع الجنرال كبير  
بعد قسب عدة الاتفاقيه بأن يحكم مراد بك الصعيد الأممي باسم  
العثمانيين في مقابل التزامات معينة ( شكل ٧ )

إن مراد بك - الذي أطلق اسمه على شارع من أهم شوارع  
الجيزة - قد تعاون مع المحتل الفرنسي بعد هذه الاتفاقية إلى أبعد  
حدود الامكان ، وكانت بيته بسلطات الحملة في القاهرة صند التابع  
لجنس الأمم ، ولم يكن أقل من يعقوب ولاء لفرنسيين وعملا على  
تهدئة مشاعرهم ، ومن مظاهر ذلك ما يشير أمر مشاعر الامم  
والأسف لعصب اعيال الجنرال كبير مثلا بحث مراد بك رسالة تعزية  
في وقت خسة الخديف الخيال مو ( وهي من الوثائق التي لم يسبق  
سما ) \* وقد أعرب مراد في هذه الرسالة عن أسفه العميق على  
هذا الحدث واستكاد له ، ووصف مركبه أنه « حزين وقليل





يتعاون معهم أو محاولتهم هم لاحتواء هذا « البعض » ومد جسور الصداقة إليهم .. نظروا إلى كل ذلك نظرة واقعية ميكائيلية حيا عليه محددة واحدة ، هي مصلحة الجمهورية الفرنسية ، مهما اختلفت الوسائل ونبوغ المسئل لتحقيق هذه الغاية . وكانت هذه النظرة في الوقت ذاته واعية مبصرة . إهم رموا شباكتهم على مراد وأفلحوه في اصطيداده ، ورحبوا تعاونه وتعاونه في خدمة مصالحهم ، ولم يحسوا بظلمه إلى مدح مصر عن الدولة العثمانية وطموحه إلى التربع على عرشها في ظل حمايتهم أمرا عوي عادى أو لا يدعى في دائرة الممكن . نعد كانوا يعلموا جيدا أن السيادة العثمانية على مصر هي في حقيقته أمم روحية ، وأن الحكم النعني للمماليك الذين فأن عهده بومبارب قائد الحملة في مشواره الأول إلى المصريين لأنه حصر لنقصاء عبيهم . وكانوا يعلمون كذلك أنه لس غريبا أن يصطنع رجل كمراد بث إلى حكم مصر مسرود . فقد كان عند قدوم الحملة يعاسم ورميه إبراهيم بك منصب مشحة اللد ، أي رعامه طائفة لعمالت التي كالب غش رأس المسطه التنفيذية في البلاد . وكانوا يعلمون أيضا أن المصريين اسادوا على حكم المماليك مع ما يفرض به من مظام ومساسد ، وليس من العسير أن يفسلوا ما انقطع بعد اضطراب الفرنسيين إلى احتلاء بقواهم عن البلاد . ومن هنا أبدوا في اتفاقهم مع مراد فكرة تنصيبه حمايتهم سندا أو ملكا على مصر بعد جلالتهم ، واعتبروه ملئت مواطن فرنسا .

ويذكر لنا اجيرى اهتمام الفرنسيين غير العادى بحرق وقاه مراد المتفاجئة بالاعانين قبل توقيع حيار لاتفاقية الجلاء عن القاهرة بحرق شهرين بعد أرسلوا « جوايات إلى الأمراء لبرادية يعروهم في استأدهم ( أي وعيهم ) ، بل وتدخلوا كذلك في تعيين من يعينه في رعامه سائب ، فبعثوا « تقريرا إلى عثمان بيث الجيوجادر . فان يكون « مير و نيب على حشد نسبه ( أي علاقه ) وعوضا عن مراد بك «<sup>١٢٢</sup> وحس بعلمه ان رعامه محاليت مراد امواتي لفرنسا آمد فيما بعد إلى عثمان نيرديسى ،

التي ورد بها مراد الفرنسيين أن استطاعوا فعلا إخضاع الثورة بعد أنه أحرقوا حتى « لاق وغيره «<sup>١٢١</sup> . ويقول الجيرى في هذا الصدد أيضا إن مراد بك « عد موجهه إلى الصعيد بعد انقضاء الصلح أحد ما جمعه «<sup>١٢٠</sup> . ( الثاني ) من أغندم وحيون ومرة وكان شيئا كثيرا جسلم الجميع منه وعدى درويش باشا إلى الجهة الشرقية متوجها إلى الشام وأرسل مراد بك جميع ذلك للبرساوية بمصر ( أي القاهرة ) «<sup>١٢١</sup> . هذا في الوقت الذي كان يعقوب — كما رأينا — يساند فيه الفرنسيين عسكريا بمناحه لمن تسلل إلى القاهرة من المماليك والعثمانيين ، ويساعدهم كذلك في تحصين ما فرضوه على المصريين من معارم .

ويجاء منح مادة الحملة كيغوب ربه في الجيش الفرنسي ، فإنهم كانوا «<sup>١٢٢</sup> ورد مراد حائلا مرسيا . وقد سقت في أول عهد مو ، قبل بدء العمليات الحربية بين الفرنسيين والقوات المشتركة ، أن تدخل مراد بك عمالا النوسط بين العثمانيين وقيادة الحملة لإجراء مفاوضات جديدة ، وبعث بائبه عثمان البرديسى إلى القاهرة ومعه رسالة بهذا المعنى . ولكن مو رفض هذه المحاولات وأدان بشدة اتصال مراد بالعسكر العثماني ، وقال إن مراد بك هو أحد مواطني الجمهورية ( un des membres de la Republique ) ويجب عليه أن يتم بمشئونه وألا يتجاور حدوده «<sup>١٢٣</sup>

ولا عكس الجيرى شعور المصريين تجاه شطط يعقوب وتطرفه في التعاون مع الفرنسيين بكثير من الامتعاص والسخط ، فكذلك فعل في مناسبة وفاة مراد ( خلال عهد مو ) ناقص في ذكر مظامه ، وذكر بكثير من الاستكثار ما قدمه لفرنسيين من خدمات ، ثم قال « إنه كان من أعظم الأسباب في خراب الإقليم المصري بما تجدد منه ومن مماليكه وأتباعه من الحور والنور «<sup>١٢٤</sup> .

ولقد نظر الفرنسيون إلى محاولات البعض التقرب إليهم وبسط اليد

الجناب العسكري ، فانه عرف إلى حد كبير عن النشاط المالي وما جرفته عليه جباية المذرم والمرد هو وأتباعه من المحركات ومصادمات مع المواطنين وتمكس عريضة تظلم من ملطى وأنطون إلى القائد العام ( لم يسبق نشره ) أثر ما اتخذته متو لإرءهما من إجراءات. إنيها يشكران ما وقع بهما قائلين « وعد راد علي الحال حتى ظهرنا من تحت ( كذا ) العصاة على أوامركم وقد قاصصتمونا لذلك فالتصى الحال أن يستثيت بكرسيكم بعينوا بأمركم أناسا من أهل المنطقة خالين الفرض من ثروتهم أنتم يعللوا لي مايبا ( كذا ) ويتصرفوا في حال حسابا . ثم يستشهدان بزميلهما يعقوب ، ويشيران إلى أنه لم يستطع الشفاعة عما أو الوساطة من أجلهما « ثم إن هذا أمر يدركه أيضا خادمكم الخاص حضرة الجبال ( كذا ) يعقوب ومع ذلك لأجل طبعه الوديع يحتار كيف يتصرف في مثل هذه الدعوة . » ( شكل ٩ )

٢ - وعندما كونه متو ديوانا جديدا في أكتوبر ١٨٠٠ عدل عن تعيين بمثل الأقبليات في هذا الديوان كما كان عليه الوضع منذ أنشا بونابرت للديوانين . وقال في المادة الثالثة من المرسوم الخاص بإنشاء هذا الديوان « فلاند من إقامة ديوان بمصر مؤلف من جماعة العلماء أو من أناس آخرين مسلمين الأوفر امتدادا بالمفصل والمعرفة والمنزعين عن عجة المال .. » وقال الجبرتي عن هذا الديوان إنه أنشئ « على سق الأولى من تسعة أفتار محسمين لأعر ويس فيهم قبلي ولا وجلفي ولا شامي ولا غير ذلك .. » وكان الجبرتي معه أحد الأعضاء التسعة في هذا الديوان (٥٤)

ومؤدى هذا كله أنه كان من المستبعد تمام أن يملك الفرنسيون وهم يخططون لمستقبل علاقاتهم بمصر في الاعتماد على رعيهم من رعاء الأقبية

بأن لاخير كذلك استأثروا لتأييدهم قريبا آخر من الماليك برعامه محمد الأتقى ، هذا بينما كان محمد علي يصارع مختلف القوى متلمس صريعه لاصرة حكم مصر من خلال الشرعية الثانية

١ - علاقة الفرنسيين بالأقباط ورمائلهم فكانت أمرا غلظا عاما عند جئت اليهم سلطات الحملة لمساعدتها في تدبير الشؤون المالية للبلاد حكم ، يلكونه من حيرة طويلة في هذا الصدد ، وما يوافر لديهم من « بات ومعلومات تنصلي بالدخل العام ومساحة الأراضي الزراعية » تعصيات ما تقدر عليها من صرائب وما إلى ذلك . ورد اعتيادهم على انحصار القبطى في حمية الأموال وحساب بعد أن بين تفسير موظفى لإدارة الفرنسية وإسالم ومع هذا فإن أولئك الجباة والصياريف لم يكونه عند حسن ظن الفرنسيين بهم . ويجمع مؤرخو الحملة ، فعلا عن وبالتالي ، على أن المخصصين تهبوا أموال البلاد ، واشتدوا في عسفهم وحملهم . « عموما لا استباحته أموال الناس وعشهم بكرامة دافعى الضرائب من الفلاحين وغيرهم » وعمل كتابات هؤلاء المؤرخين بكثير « لأشعة الصارحة على ذلك » ولقد بدلت حكومة الحملة وبخاصة في عهد مو جهودا كبيرة محاولة تغير هذه الأوضاع والتخلص من هيمة لمزمت الخفاء . بإعادة التنظيم الإدارى ومراجعة تصرفات الموظفين والذلة في محض الحسابات .

وف أحد عيد الله سوى هذا الصدد موهين حاسمى قلبه موازين العلاقات بين سلطات الحملة والأقباط

بعدما ألقه إسب ( Estève ) مدير الشؤون المالية للحملة بالتحشاه لاحتلاسات جسيمة من الأموال العامة أمر بالقبطى على نعم - « من صاقية وملطى وألزمها برء المبالغ التى اختلسها الحياة الذين يعملون تحت إشرافهما أما يعقوب فأفك من هذا معصير « دتكرت جهوده في التعاون مع الفرنسيين بعد كثير في

وتشقق طريقها بمسلميها وأقباطها نحو التقدم والتماء ، تصارع كدائها كل ما ورثت به من عس ، ومقاوم في بمثابة ما نكس به من احتلال آخر جثم على صدرها عشرات السنين ، ولتصرب بشعبها العظيم وأنظاتها الخالدي أروع الأمثلة في الوطنية والكفاح ، ولتظهر العلم بتوره ١٩٦٩ التي اعتنق فيها الغلال والصليب في وحدة لم يسبق لها أو يسبق بها نظير ، ولتفخر بأبطالها وما يقدمون له كل يوم من عطاء وهداء

القبلي لينتوي السلطة في صالحهم أو تحت حمايتهم ، بعد أن مضطروا إلى إجلاء قواتهم عن البلاد ، مهما كان ولاء هذا الزعيم لهم ومهما بالغ في خدمه مصالحهم

لقد أفلح الفرنسيون — كما رأينا — في اصطلاح بعض امماليث ، ونكس التطورات التاريخية فصب على فوه المماليث « المصرية » مختلف أنحائها وتجاهاتها ، وحاول الفرنسيون كذلك أن يضطبعوا — أو يضاموا — عماء الأهر بوضعهم قادة الشعب وموجع احترامه وإجلاله ، ونشروا إليهم بشئ وسائل الإغراء والتهديد ، حتى أرغمهم أحيانا على أن يواجهوا منشورات إلى المصريين أو يبعثوا برسائل إلى قادة الخمسة ، يجمعهم يبدون في صورة المؤيدي للحكم الفرنسي والمواليين لنادي ، الثورة الفرنسية العظيمة ، ولكن هذه المحاولات كان مآلها للوقوف هو الفشل الذريع ، ولم تستطع أن تبرز من مكانة هؤلاء العلماء أو تغير من نوع الناس فهم وإيمانهم بمبادئهم ، أما اصطلاح يحقوب أو من إليه من رعاء الأقلية فكذلك أمرا مرحيا وبصورة محدودة في أثناء حكمهم لبلاد ، ولكن اصطلاحه لينفذ لهم مخططا جلا أو ليهينهم على تحقيق غاياتهم ، إنما هو أمر لم يكن ليحظر لهم على بال ، لأنه كما قال أحد مؤرخيهم : أشبه بالمرأنة على الحصان الخاسر .

\* \* \*

والنظوب صفحة من تاريخ مصر لم نرد مساحتها الزمنية على ثلاثة أعوام ، ولكنها حملت بالكثير من الأحداث والتغيرات . وانقشع عن البلاد ظلام الاستعمار الفرنسي ، وأفاق مصر من صدمتها وما خلفته من غير ودروس لتستأنف مسيرتها عبر حقبة التاريخ ، ولتصبح بعد مئة سنة امصة موحدة تبنى دولة حديثة ، وتبيلور على مر الـ ١٠٠٠ سنة هذه الوحيدة الخالصة ، وتؤكد قوميتها الدانية وانها ذاتها الطبيعية ،

(٢٠) تحقيق غريبال مرجع سابق ص ٢٤

(٢١) الجيوتي، ج ٢ ص ١٢٤

(٢٢) الجيوتي، ج ٢ ص ١٨٨

(٢٣) الجيوتي، ج ٣ ص ٢٠٥

(٢٤) Gaston Homy, op. cit. p. 121.

(٢٥) جاك لاجر، حركة الترجمة مصر خلال القرن التاسع عشر، ص ١٤٠ - ١٤٦، ويخصص هذه الترجمة القلوط مودع بدار الكتب المصرية، بعنوان «الأمور في عهد الخواج، السياسة والتدبير»

(٢٦) Mémoires de Casse Bellard, t. III, p. 213.

(٢٧) الجيوتي، ج ٣ ص ١٩٦

(٢٨) المرجع السابق، ص ٢٠٤

(٢٩) المرجع السابق، ص ٢٠٠

(٣٠) المرجع السابق، ص ٢٠٤

(٣١) المرجع السابق، ص ٢٠٧

(٣٢) RUAUD, M.F., Kéher et Minou en Egypte. p. 333.

(٣٣) Kéher تحقيق غريبال، مرجع سابق، ص ٢٢

(٣٤) انظر George Devia, l'Egypte Endependante. pp. 2-3.

(٣٥) G. Homy, op. cit. p. 41. وانشر كذلك شعيل غريبال، مرجع سابق، ص ٤٨

(٣٦) Mémoires de France. 15 Jula, 1798. انظر

(٣٧) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث، ج ١، ص ١

(٣٨) لويس عوض، المرجع السابق، ص ١٨٨

(٣٩) شعيل غريبال، مرجع سابق، ص ٢٨

(٤٠) توجد بعض عرائض الأسبلة، من لياحسين مصري، في رسائل ورود حاشية الفرنسيين وولفو أن العلاقات التي أجرتها الحكومة الفرنسية على الفلاحين المصريين، استقرت مصر في أرونتهم، فعل سيول المال على «جويل لإرمان» ، وهو حفيد أخت مصري، بصرف ممتلكته حتى وفاته في عام ١٨٧٨. انظر G. Homy op.cit. p. 41

(٤١) يبدو أن هذا الشاب كان الوحيد من شباب الأحياء الذين اصطحبهم الفرنسيون ليعتصروا الفرنسية وبعدها إلى جهاز اتصافهم الجديد، ولم تشر الترجمة انصاف «للخدمة إلا أن» ، فذكر أن أنه استعمل بالترجمة بعض رجال الجيش - عاش في فرنسا نحو عشرين عام قبل أن يترجم بروفرة المصرية، حيث عهد إليه بترجمة بعض الوثائق العربية للخدمة، في الفرنسية، «كذلك سارت العلماء الذين سبقوا، كتابة» وصلب مصر «في تحقيق الأسماء العربية بالكتابة» ، ثم عمل منبراً للعربية العامية بفرنسة اللغات الشرقية بالروس - وكان قد كان ناصوب عربياً مرسب، حتى ترجمته وشره بعد وفاته، استشرق «كوسمان دي بريسفال» Cassin de Perovis ، «شدي - حلقه ن

## هوامش

(١) د. فرحان بطرس، مجلة - الآثار في فرنسا والاندلس - ج ٢ ص ٢٦

(٢) المرجع السابق، ج ٣ ص ٤٧

(٣) رمزي نادرس، مشاهير الأقباط، ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥ انظر كذلك يشوب تلة رحلة، تاريخ الأمة الصغيرة، ص ٢٨٩ - ٢٩١

(٤) George Rigault, Le Général Abdallah Minou et la Dernière Phase de l'Expédition Egypte. (1) pp 413-414

(٥) د. بلا عن La Jonquière, C. De l'Expédition d'Egypte. III p 510

(٦) الجيوتي، ج ٣ ص ١٠١

(٧) (و)وف صيب - مصوب حنا، صور من تاريخ القبط، ص ٨٠

(٨) الجيوتي، ج ٢ ص ١٦٢

(٩) المرجع السابق ص ١١٤

(١٠) المرجع السابق ص ١١٨ - ١١٩

(١١) شعيل غريبال، الجيوتي، القلوب والنفوس لاسكارس، ص ٢٠

(١٢) Gaston Homy. le Général Jacob et l'Expédition de Bonaparte وجامسون حمصى فرمسي من أنسلي سوري مصري، ويصل لسه بحقوق نقده

(١٣) شعيل غريبال، مرجع سابق، ص ٢٠

(١٤) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث، ج ١، ص ١٨٨

(١٥) Rigault, op. cit. p. 3.

(١٦) الجيوتي، ج ٣ ص ١٤١

(١٧) صر محمد قزاد عسكري، الخدمة الفرنسية وظهور عمده على، ص ٣٤٧، ٣٥٧

(١٨) شعيل غريبال، مرجع سابق، ص ٢٢ - ٢٣

(١٩) الجيوتي، ج ٢ ص ١٧١

... به . وقد طبع هذا القاموس بعد ذلك عدة مرات ، بعضها في مصر وبعضها في سوريا  
مدمسة . تأليف في عهد اسماعيل . انظر أحمد حسن الخياط ، في تاريخ الصحافة في مصر ،  
ص ٢٠٥ ، ٢١٦ ، وكذلك شفيق عزال ، مرجع سابق ، ص ٣٩

(١٦) مرجع أصله في القاموس المدموس (Pichon) الإيطالي ، الذي يقع على مغروج جبال الألب  
تحت اسمها في إيطاليا مع فرنسا وسويسرا

(١٧) شفيق عزال ، مرجع سابق ، ص ٤

(١٨) لوريس غوص ، مرجع سابق ، ص ٢٧ ، ٢٩

(١٩) مؤرخة ١٥ صفر ١١١٥ (يونيو ٨ يوليو ١٨٠٠) .

(٢٠) محمد مؤلف شكري ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢

(٢١) توسع الساب ، ص ٢٤

(٢٢) Rughat op. cit. p. 75

(٢٣) محمد مؤلف شكري ، مرجع سابق ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥

(٢٤) الخري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١١٨

(٢٥) Rughat op. cit. p. 229

(٢٦) الخري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٧٤

(٢٧) الخري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٤

(٢٨) الخري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ ،

فلا لآت شجاعته وعقله ثم فطنته  
 وشرح احتقاره الدنيا بالنظم والسر<sup>(١)</sup>  
 وقد ناز بها على الممالك إجمالا  
 ظفر بأرقايم<sup>(٢)</sup> بصرى بالعز والقهر  
 وأخضع شافع جعدة البربر  
 مروضا أخلاق أهل إقليدنا للصبر  
 بل وأهل سياير<sup>(٣)</sup> النمرة ومن  
 كان قاطنا بالبر ثم والنفس  
 فاعجب من كان محبوبا ثم مرغوبا  
 حتى ومن كادهم بالحرب والقهر  
 دأته فأنح بلادنا بساحة قبل  
 يصرب ويشقى ولا يدنو إلى الغدر  
 صليد محاهد ومحصم محارب ولكنه  
 طيب مذاوى الجراح بالزيت والخمر  
 فأما على ماصرى دأته وواأسفى  
 على اصطحان به لو قدر العلي  
 فكأن أرب وجودى بمعداني ماربحوا<sup>(٤)</sup>  
 كما رافته قبالا بصعيدنا انصرى  
 فكأن أرجوا وجودى لمعلونة عبرى  
 كما صاحته قبالا بالمر والنصر  
 موقى عنه هذأ كان يخب  
 عن فقد حياة مفيدة ذكرها دهر  
 أموت عن من حياته فوامها بمع  
 ودوامها خير عام والصغر والنظم  
 وليكن وإن مات فهو حتى وما  
 زال ذكره من دهر إلى دهر

## ملحق رقم ( ١ )

نص قصيدة يعقوب في رثاء الخيال ديسيد<sup>(١)</sup>

إنا لله وإنا إليه راجعون  
 الحمد لله محرك آلات الألسن الأوايس . بأعام اللغات  
 المواميس<sup>(٢)</sup> ، وكاشف العطاء الدلامس<sup>(٣)</sup> ، عن الآثار الموريس  
 عمده حمدا وشكرا لانقا بوله مبدع وإخلاق ، باري المبررات  
 والخلائق ، مكنوز الأرض والسموات ، بصور الأحياء والأموات . بمير  
 النعائس من الحسنائس . فلا إله غيره ، ولا حير إلا حيره وهو سائل  
 والسائس آمين  
 ويقد ، فهذا دعاء جميل شديد ، به ستحب وودت عزيزه . احسن  
 دأته صاحب الأمير يعقوب ، سارى عكر القبط احمد  
 يقول ...  
 أدركنا على ذكر الحبيب دموعا  
 مكرما بها بيوم البعث والحشر  
 حبيب وقد داع صيه أبدا  
 بطل وقد عرف في سائر القصير



وإذا نُحِيت بصلح عام متقله  
من يد ليد حاكم متعرج ومفتري  
فمك تطلب العود يادته بأجمعا  
واسمك يباريس هانا ياشاع الذكر  
هذا اعتنى ليدوما بناحية قبل  
لنحونا بحيانا من الموت والحصر  
فقد بيت من كل بائنه  
فهم بأعدائهم في أعصم الحصر  
والآن عصيم تقام صد أمتا  
ولها العريس قصدهم سكر القبر  
وعبتا للعريس فلا بد عبا  
لأنهم اعتقونا من الأصرار والشر  
ثم انتهى مقالي إليك يارق  
تجزي لسانه أعماله بالخير والأجر

#### هوامش

- (١) لفر شك (٣) ولد جاء في الترجمة الفرنسية للصحيفة للنس القري في القصيدة موجهة إلى وزير الحرية العربية
- (٢) جمع « فانس » أي اعنى مصر - وقد يكون معنى شجرة - « الفلج غير المعروف »
- (٣) تشديد لفظ « (٤) فلف »
- (٥) صيغة خاتمة جمع « روعة » « والصحيح » وقلب « او » « ف »
- (٦) معنى فيه تشديد « الأصر »
- (٧) قصد معركة دارينو بإيطاليا التي قتل فيها في ١٨٠٠
- (٨) قصد « مستديرا بالتساغ »
- (٩) جارة غير معروفة وانظر كنه غير واضح للمع
- (١٠) ترى (١١) مثنى (١٢) يفسد الأسر

ولم يرل يعكز مخلدا أبدا  
حتى إلى خروج الروح من صدرى  
وظل معه الجميلة تحت أنوارا  
مستديرا بالتساغ<sup>(٨)</sup> قصده الخو كالغمر  
فيصطحب مع الأقدمى مشتركا  
مترينا بيهام أشعة الحب للبشر  
ويشهد عيانا برج حظ يومنا  
وما خصه الله من العظمت والقدر  
وبالتحاد مربع<sup>(٩)</sup> وهذا القدر مستعرب  
يرجف الهرير أعداء الله والشمر  
فيحصل الخير ويجمع أهل مشرقا  
ويعود النظام ونرا<sup>(١٠)</sup> الجمع قد صبر  
فيا من قطن بيلدة الأحياء والقبلة  
ونفسك هلك تحصى<sup>(١١)</sup> داخل الحصر  
تجد على يمحظ العين مرأيا  
وانصر رضى بأسى برقه البصر  
فانظر إلى شعبا وشقاء حاكه  
فعدت حيانا لا تحلو من الكبر  
لاحظ لنصريين وكيف كانوا قديما  
وعيدا غدوا الآن للرق واليسر<sup>(١٢)</sup>  
فكم كنت تعجب أنت من ملاحظهم  
وتبايس القديمة يعلق ذكرها الخير  
فمك نرجوا الشفاعة يامعصدا الأول  
فلا تدع مصرما يساور النهر  
ومن بعد يحكم العريس أعواما  
فلا يبيد حاكم يسور نفسه

ولا يقصد إزالة دينكم بذلك كدب صريح فلا تصدقوه وقلوا للمعتريين  
إننى ما قدمت إليكم الا لكيما أحلص حفيكم من يد الظالمين وإننى أكثر  
من الماليك أعبد الله سبحانه وتعالى واحترم به محمد والمرآن  
العظيم<sup>(١٧)</sup> .

وقولوا أيضا لهم إن جميع الناس متساويين عند الله وإن الشئ الذى  
يمرّقهم من بعضهم بعضا فهو العقل والفصايل والعلوم فقط ويرى  
للماليك ما العقل والفصايل والمعرفة التى تميزهم عن الآخرين  
وتستوجب أنهم يملكوا وحدهم كلما يحقوا به حيات الدنيا<sup>(١٨)</sup> .

حيثما يوجد أرض محمية هى مختصة للمماليك والجوارى الأص  
الحيل الأحسن والمساكن الأشهى بهذا كله لهم خاصة .

إن كانت الأرض المصرية التام للمماليك فليوزون واحتجت<sup>(١٩)</sup> التى  
كتبتم الله فلذلك رب العالمين هو رؤوفا وعادى على البشر بعونه تعالى  
من اليوم فصاعدا لا يستثنى أحد من أهالى مصر عن الدخول فى  
المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية بالعتلا والفصلا والمنا  
بهم سيدبروا الأمور<sup>(٢٠)</sup> وبذلك يصلح حال الأمة كلها .

سندنا فى الأراضي المصرية كانت المذد المعظمة والخليجات الواسعة  
والمشجر المتكاثر وما أزال ذلك كله إلا الصمغ وظلم المماليك .

أب القضاة والمشايع والأئمة ( الأئمة ) وبأئها الشورى<sup>(٢١)</sup> وأئها  
ثبت قوتكم إلى الفرنسيه هم أيضا مسلمين خالصين<sup>(٢٢)</sup> وثقتنا  
لذلك قد رلوا فى رومية الكبرا وحربوا فيها كرمى بابا الذى كان تحت  
دعنا انصارا على عارية الإسلام ثم قصدوا جريره مالهه وصدروا منها  
لكبر الليريه<sup>(٢٣)</sup> الذين كانوا يزعموا أن الله تعالى يطلب منهم مقاتله  
لمسلمين ومع ذلك الفرنسيه فى كل وقت من الأوقات صاروا المحيين  
الأحسب خفيرة السطان العثماني وأعدا أعديه<sup>(٢٤)</sup> آدم الله ملكه

## ملحق رقم ( ٢ )

النص الكامل لشور بونايرت الأول إلى المصريين<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله  
لا ولد له ولا شريك له ملكه

من طرف الجمهور الفرنسي<sup>(٢)</sup> المسمى على أساس الحرية  
والتسوية<sup>(٣)</sup> السر عسكر<sup>(٤)</sup> الكبير بونايرت أمير الجيوش الفرنسيه  
يعرف أهالى مصر جميعهم أن من زمان مذهب السناجق الذين يتسلصوا  
فى البلاد المصرية يتعاملوا بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنسيه  
ويطمعوا تجارها بأنواع البص<sup>(٥)</sup> والتعدى فحصر الآن ساعة  
عقوبتهم .

وحسرتا من مدة عصور طويلة هذه الرمرة المماليك المحبوبين من  
جبال الألبا والكرجستان<sup>(٦)</sup> يصلوا فى الإقليم الأحسن الذى يوجد فى  
كرة الأرض كلها فأد رب العالمين القادر على كل شئ قد حتم على  
انقضا موتهم .

بأئها المصريين قد يقولوا لكم إننى ما مررت فى هذا الطرف

## • المادة الخامسة •

الواجب على المشايخ والقصاص والأئمة أنهم يلازموا وظايعهم وكل واحد من أهالي البلد أنه يبقى في مسكنه مطمئن وكذلك تكون الصلات قائمة في الخوامع على العادة والمصريين بأجمعهم ليشاركوا فصل الله سبحانه وتعالى من انقراض دولة المماليك فابلين بصوت عالي أدام الله إجلال السلفاء العتائل أدام الله إجلال العسكر الفرنسيون لعن الله المماليك وأصبح حال الأمة للصرية •

تحريرا بمعسكر اسكندرية في ١٣ من شهر مسيدور سنة ٦ من إقامة الجمهور الفرنسيون يعني في أواخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية<sup>(١٩)</sup>

وبالمقلوب<sup>(١٨)</sup> المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممثلين لأمره فما طاعوا أصلا لا لطمع أنفسهم •

طوى ثم الطرف لأهالي مصر الذين يتفقوا معا بلا تأخير فيصلح حالهم ويعمل مراتبهم طوى أيضا للذين يقعدوا في مساكنهم غير مابلين لأحد من الفريقين المتحاربين فإذا يعرفوا بالأكثر يتسارعوا إليهما بكل قلب •

لكي الويل ثم الويل للذين يتحلوا مع المماليك ويساعدوهم في الحرب علينا فلا يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى منهم أثر •

## • المادة الأولى •

جميع القرى الواقعة في دائرة قرية بركة اعادت من المزارع التي سُر بها العسكر الفرنسيون فواجب عليها أنها ترسل للسر عسكر بعض وكلا من هذا لكيما يعرفوا المشار اليه أنهم طعدوا وأنهم يصبو السجاق الفرنسيون<sup>(٢٠)</sup> الذي هو أبهى وكحل وأحر •

## • المادة الثانية •

كل قرية التي تقوم على العسكر الفرنسيون تتحرق بالنار •

## • المادة الثالثة •

كل قرية التي تطيع العسكر الفرنسيون الواجب عليها نصب السجاق الفرنسيون وأيضا نصب سجاق السلطان العتائل محبا دام بقاء •

## • المادة الرابعة •

المشايخ في كل بلد ليجتمعو حالا جميع الأوراق<sup>(٢١)</sup> واليوت والأملات بتاع المماليك وعليهم الاجتهاد الزايد لكيلا يصيح أدنا شيء<sup>(٢٢)</sup> •

## هوامش

(١) انظر شكل (٥)

(٢) يحدد الجمهورية الفرنسية (٣) أي ، على مبادئ الحرية والمساواة •

(٤) قد تكتب أيضا « صاري عسكر » أو « صاري عسكر » ، ومعناها القائد العام

(٥) بصفة بقاء بقاء وبأصه من ذلك ، أي لم يترك له شيئا

(٦) الأبرار ( أو الأبيد ) من شعوب القوقاز ، والفكر بمنزلة حي جوجيا وفي الأصل الفرنسي

« achetés dans le Gange et le cougane »

(٧) في الأصل الفرنسي « وإلى احترام الله ورسوله والقرآن أكثر من لملكك » • Je respecte, plus •

que les mandats, Dieu, son Prophète et Al Coran •

(٨) أي ، كل ما تحضر به الحياة الدنيا

(٩) أي ، فليذهبوا نسمة

(١٠) العيلة في الأصل الفرنسي أكثر تحديدا فهي تقول « Gouverner » أي « سيولون الحكم » •

(١١) نحو عما كبار الأعيان وكاتب هذه الكلمة التركية تعني كذلك في الاصطلاح المتخصص

على حياض حامل رتبة « جورجي » ، وهي « حامل رتبة » النقيب « الخلاب  
(١٢) في الأصل الفرنسي ، استعفاء للمسلمين الصادقين « *amls des vrais musulmans* »  
(١٣) للقصود فرسان القديس يوحنا الأورشليمي ، وهم طائفة دينية تكوّن في مدينة القدس في  
أصناف الحرب الصليبية الأولى (أوائل القرن الثاني عشر) وبعد عدة أحداث استقر في جريه  
مالطة . وقد التفت حكومة الثورة الفرنسية هذه إجماعات ضد اتباع هذه الطائفة وإملاكها . تم  
لحوت حكومة الإدارة (الديركتورز) احتلال جزيرة مالطة نفسها بواسطة البحرية الفرنسية بقيادة  
يوسيف « وهي في العريش في مصر - انظر ص ٥٥  
(١٤) أي : أعداء أعدائنا  
(١٥) أي : وعلى العكس من ذلك  
(١٦) أي : العلم الفرنسي  
(١٧) جمع « بزة » : « مناهة » : فرس أو غيره مما يُضرب ، يصرف وجهها على الوجه المعين  
(١٨) أي : أدنى شيء  
(١٩) يوافق هذا التاريخ أول يولي عام ١٧٩٨ م : و ١٧ محرم عام ١٢١٣ هـ .

### ملحق رقم ( ٣ )

#### نص رسالة مراد بك إلى الجنرال متو<sup>(١)</sup>

صور<sup>(٢)</sup> . . . . .  
جواب من حصرة أمير اللواء مراد بك أمير الحاج سابقا خطايا إلى  
حصرة ساري عسكر عبد الله متو أمير الجيوش القرباساريه مصمويه  
إن سألتم عنا فإننا طيبين بخير ولم سأل إلا عنكم وعبر ذلك إن  
حصر لنا جوابكم وعرفتونا بما حصل إلى حصرة عمنا العريق ساري  
عسكر كليير وهذا أمر الله تعالى لم أخذنا بيده حيله وأمر الله تعالى لأبد  
عن نكاته والذي سلف على قننه مثل واحد كبير رى به لم هو  
شأن<sup>(٣)</sup> . . . . . وبق حاس وقليل المروه ولكن من مديم الزمان الخواة هم  
وكل احدا جرأه على الله تعالى وذكرنا لنا في جوابكم أن الجمهور<sup>(٤)</sup>  
سنموا لكم كامل الأمر واحكم وحصل لنا غايته الفرح والسرور لأن  
سابق بلما عنكم لأختيار الطيبة وشكرانية عن حصرتكم والباس جميعا  
بمحركم بكل خير واحدا الآخرى حصل لنا فرح بمالك وواد حب  
عزركم وإنشاء<sup>(٥)</sup> الله تعالى يكون راحتنا على الله تعالى وعلى حصرتكم  
السعيدة ودا على محبه والشروط على ما هو عليه حكم الأول وإنشاء<sup>(٦)</sup>



يُمكن أن ( إن كان ) يظهر كلاساً هذا بخلاف الواقع ثم إن هذا أمر يدركه  
أيضاً حادكم الخاص حصرة الجنارال يعقوب- ومع ذلك لأجل طبعه  
الوديع يختار كيف يتصرف في مثل هذه الدعوة والله تعالى يحفظكم

من عند نوابكم امياشرين

منطى وأنظرون<sup>(٣)</sup>

## ملحق رقم ( ٤ )

من عرضة زعماء الأقباط إلى الجنرال منو<sup>(١)</sup>

حضرة صاري عسكر العام

إن جانيكم من قبل ما فيكم من العدل والحنم والفضله أرسلتم تسألونا  
بأن نوضح لكم ما نحن به من القهر فتحن قبل الآن لم نفقد كشف  
جراحنا التي كانت في كل يوم تتسع شيئاً شيئاً أولاً تسليماً للتقادم  
وعشماً يكون كل واحد منا يرجع لذاته ويحاسب نفسه تانيا خوفاً من  
أن يقال هنا لنا حب السجس<sup>(٢)</sup> ومواخذ ( نواخذ ) بذلك من الحكام  
ثالثاً ليلاً ( ليلاً ) يتصح كأننا أحصام لأخواتنا وقاصدين الشكوى عليهم  
ولكن من حيث جانيكم أبو الجميع وطبيب الرعايا وقد راد عليها الخيال  
حي ظهرنا من حيث العصاة على أوامركم وقد قاصصتمونا لذلك  
فاتقضى الخيال أن يستعيث بكمسيكم بغيركم أناساً من أهل القصة  
خاليين الغرض ممن تروهم أنتم معدوداً في ما يمس ويتصرفوا في حال  
حسابنا وفي النهاية يمد أن يردوا الجواب لجانيكم لكم التبرير في  
ما تأمرون به ومع ذلك فترجواكم بأن لا تصوبوا بكوننا قاصدين  
بمرصحاتنا الشكوى على أحد أم قصاصه بل قصاصنا نحن بوجه خاص

هوامش

(١) النص شكل (٢) والبرهنة مرفوعة إلى الجنرال منو - كما جاء في الترجمة الفرنسية ، وقد  
كان غير مؤرخه

(٢) سيجس التفكير والفكر ، والمقصود الأتصال بالرجل

(٣) كان منظر من أكبر زعماء الأقباط فهم خليفة القوسية وقد اثنى له عهد بولغوت رئاسة  
حكاه القضاة ، بالانفرد ، وهي تفتح بين الخصائص الحكمة المدنية التجارية وإدارة الشهور  
المعاري ويتكون من ثلثي عشر عضواً وكذلك كان أنفون من كبار الأنبياء وأكفهم من وكان  
يعرف باسمه أكبر عطية

شکل ( ۹ ) عربیہ و عماء لاقاط

رسالة من القبطان جوزيف إدموندس قائد القنطرة بالاس  
إلى فحامة الإبريل سانت نست وزير البحرية البريطانية  
على ظهر القنطرة بالاس  
حريرة ميورقا في ٤ من أكتوبر ١٨٠٩  
صبي

استباحت المعنى أنه أرفع إليكم مياسرة المذكرات المرفقة بكتايب  
هذه استناد مني بأنه قد يكون من المعبد لحكومة بلادى أن يعلم أن  
عنى الأشخاص الذين يطلقون على أنفسهم « الولد المصرى »  
موجود - الآن فى باريس  
عند كذا من استعمل السعفة بالأس لثلى ابولى قبائدها من مصر وجبل  
قبلى ذو سمعة طيبة ، وهو من رعاء طائفته وله بيتها بقود كبير . وقد  
قبضه نمرسيه ؟ قائد على يخلق يرتبة جبران لكى يعاونه .

توت هذا السعى للعثور الحظ بعض الرعيه واحد يحدثنى في شئون  
وصه وهو أعرب و عن اعتقاده بأن أى نوع من الحكم لبلاد أفضل  
من حكمه اسر ( العثمانيين ) لها ، وأنه انضم إلى الفرنسيين ببايع وطنى  
حتى تمكن أن يتخلص من مواطينيه ما عانوه ، ولكن الفرنسيين خدعوه

419

[illegible]

120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840. 841. 842. 843. 844. 845. 846. 847. 848. 849. 850. 851. 852. 853. 854. 855. 856. 857. 858. 859. 860. 861. 862. 863. 864. 865. 866. 867. 868. 869. 870. 871. 872. 873. 874. 875. 876. 877. 878. 879. 880. 881. 882. 883. 884. 885. 886. 887. 888. 889. 890. 891. 892. 893. 894. 895. 896. 897. 898. 899. 900. 901. 902. 903. 904. 905. 906. 907. 908. 909. 910. 911. 912. 913. 914. 915. 916. 917. 918. 919. 920. 921. 922. 923. 924. 925. 926. 927. 928. 929. 930. 931. 932. 933. 934. 935. 936. 937. 9

فأصبح المصريون الآن محقروهم كما كانوا يحقرون الترك ، وأنه ما يزال يأمن في خدمة بلاده عن طريق الحكومات الأوربية ، ويرى أن ارتحاله إلى فرنسا قد يئس من ذلك . وقال إن الفرنسيين جشعون يعتقد أن دولتهم أقوى دول أوروبا ، وأنه لم يكن يعرف إلا قبلا عن القوة البحرية الهائلة لبريطانيا ، ولكنه مع ذلك كان على يقين من أنه بعد موافق بريطانيا فإن وعبه في أن تمتع بلاده بحكومة مستقلة لن يفارها .  
 تحقق وقد أبلغني صديقه لاسكاريس الذي كان يرحم أقواله في أن الجنرال المعظم يعسوب برأس ودفن قومه أعيان مصر بمصوصة الدول الأوربية في أمر استئصالها . وفي أثناء الرحلة مات الجنرال وقام مرجهته بحريير المذكرة المرفقة بكتايب هد وهي مكونة من أجزاء تفصيل خلاصة لما دار بسا من أحداث ، إذ كان جنرال قبل وفاته قد أعرب عن رغبته في أن أبلغ بحوي هذه الأحداث إلى القائد العام كي يبعده بدوره إلى الحكومة البريطانية . وقد أكد لي السيد لاسكاريس أن التوجه ما زال قائما وأن أعضاء مسافرون معا على ظهر السفينة ، ثم أستطيع أن أتنبأ حين لاسكاريس نفسه عصفو في هذا التوجه أو أنه لم يكن سوى مكربير مرجهته . غير أني اعتقد أنه رجل معروف في الخلق ، وأنها أنه أنه يرجع إلى قلبه يدموع وأنه من فرنسا . حريره مألوفة الديار تركه بحريه مع جيش بولندي . وقد تعهدت بمعظم يعقوب بألا أسمع أو تستعمل الحكومة البريطانية مصوصة أحداثه في أي وقت من الأوقات . يمكن أن يعود عليهم بالصرر . وقد كان هذا التوجه ، الذي لا يمكن أن أحده مدى صلاحاته ، قد أجد في الغالب إن بريد للإمام . فقد أتت من الصروري إبلا عكم رأيت هذه المذكورة والمعلومات ، قد يضي بعض الوقت قبل أن تنأج ر مرجهته بإبلاغه أولا إلى القائد العام للورد كيث . وأر مو ان بعد إر وروا مسكري هذا

في عصم الشريف ياسيدي اللورد أن

## ملحق رقم ( ٦ )

مذكرات مرفوعة للقبطان جوريف إدموندس لتذكيره مستقلا بالقاط الرئيسة لأحداث السياسة على ظهر سفينته

- ١ -

إن الكتاب المرفقة به هذه المذكرات موجه إلى صاحبة اللورد<sup>(١)</sup> وهو يبدو للوهلة الأولى مجرد القاس بسيط يرجوه أن يعم بما نحن انصريين التعساء . ولكن من الضروري في الحقيقة أن ينظر إليه على أنه سجل للأحداث السياسية التي دارت بسا على ظهر السفينة . ولما كان من عدم التيسر في الوقت الخاص عرض حطتا بشكل أكثر مفصلا ، فإن هذه المذكرات الموجزة المكتوبة على عجل يمكن أن تكون كافية لتذكيرك بأهم نقاط أحداثها . وعدم يخفى الوقت الملائم لرفعك إليها مباشرة إلى حكومتك أو لإبلاغها لصاحبة اللورد ، فإن المصريين ، موثوقهم في سعادتك الكريمة ، يتركون لحسن فطنك أن تقرر اهتمام صاحبة اللورد بمصيرهم ، حتى يمكن أن يكون له صندا ، سواء مما سوف يكتسبه من عرس نورر ، البريطاني ، أو بما سوف يترجم به عند عودته إلى إنجلترا . وإذا لوأكد أن صاحبة اللورد سوف يتصرف بذلك نقصية في



توشك الامبراطورية العثمانية على الانهيار ولرب منهم الإنجليزي قبل أن تنفج الواقعة أن يلتصقوا لأنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يمكن لهم الإمداد من ذلك الحدث عند وقوعه فيجمعوا مصالحهم السياسية وإذا كان من المستحيل عليهم أن يستعمروا مصر — كما استحال ذلك من قبل على فرنسا — فيمكنهم أن تخضع مصر المستغلة لعود بريطانيا صاحبة التصرف في البحار لاحتضنها — ولأشئت في أن استقلال مصر سوف يحقق لها حريتها ، ولكنها من يكون إلا دولة راعية عية بمصالحها الوفيرة التي تنجها من حربها الحربية وتتجارها التي تنفرد بها مع قلب إفريقيا

وهذه الفرائض سوف تعود بالفائدة على بريطانيا التي يهبها — بحكم مركزها في الهند — أن تتاجر مع مصر وما حولها

٥

عند كان مراد بل يقول — وربما كان على حق — إن كعاد العرب ( هكذا كان يسمى الدول الأوربية ) أصبحوا يعرفون مصر معرفة تامة ، وأن الكل يسعى للاستيلاء عليها ، مما يجعلها موضوع دائما لخلاف فيما بينهم ، وقد يتدل في بريقه لا حاجة بها إلى الاستيلاء على مصر إذ أن في من سياستها البحرية ما يجعلها تسأثر بحجارة مصر الخارجية ويضمن لها الثاني أن يكون لها ما تريد من مودعها ولكن من سيكون من أمره من يعود إذا ما غادرت فرنسا من جديد الحبيبة الضعيفة من العاني ، وإذا ما عمل الباب العالي من ناحيته على إرضاء غريب أكثر من برصديا ؟ وكيف يكون الوضع إذا ما مضت الدولة العثمانية في إجراءاتها وأعصت مرافقها في وجه الإنجليزية ؟ ثم أليس من محال كذلك أن يصعد الفرنسيون على حثائهم لاحتلالها برا — من عند شيء كذا مع الإنجليزية ، يمكن أن تعصى على جارهم في بلاد

مع ميلاده ، وليس هناك ما يمكن أن يكون أسوأ عليه لسعي نورد سيل مثله

- ٢ -

إذا افترضنا أن ما سوف يعرضه « الوفد المصري » لدى الحكومات الأوربية ، باسم المصريين الذين قوضوه ، يبدو قليل الأهمية في نظر تلك الحكومات ، فإنكم بإسياده القبطان توافقوا على الأقل على أن قبول الأوربية أن تعمل أجدد أو أكثر من أن تهدد بقرار سياسي بسيط ظلمات الجهل والحمية التي تخيم على هذه البلاد اللداعة الضعيفة . عند كانت هذه البلاد مهدا لاسراف وعلو ديموسا . ومجلس شعبها كانت المركز الأول للمحصارة التي تقننها عنها اليونان ومصر . حيث إنينا وإذا كانت مصر بمصالحها المزدحم العظيم لا تستطيع أن تدير في دول أوروبا شعور العرفان بصيغتها وما قد من فعل ، فهي تستطيع أن لا أن تثير فيها شعور النصف عنها . فإذا ما عصى ذلك وردوا إليها أمرهم فكيف أن ترضى كل الدول الضامعة فيها ، دون أن تهدد في حده منها ؛ مصحها .

- ٣ -

من يصح وقت طويل حتى تؤيد بريطانيا حل القضية المصرية على الأسس التالية . وفي هذه الأثناء قد تقدم الحكومة الفرنسية بحسب اقتراح ذلك ، وعددها يعني ألا سعي الحكومة الإنجليزية أن « ما يصرح إنما هو نتيجة جهود الوفد المصري في باريس ، ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلى أن تنظر الحكومة الإنجليزية إلى ذلك شيء من الزهيد . وإذا ما تقدمت فرنسا بمثل هذا المشروع السياسي ، فإنها سوف تفعل ذلك على سبيل المحاولة ، لأن مصحتها في نجاح المشروع أقل من مصحتها بريطانيا والذي لا شك فيه أن حكومة الجمهورية الفرنسية لا تريد رغبة في امتلاك مصر مرة أخرى .

وحارمة ووطنية كما كانت حكومة شيخ العرب ممام في الصعيد التي  
وبت لك قصتها ولاشك أنها عديت سوف تكون موضع الاحرام  
والطاعة والسب

ثانيا . كيف يدافع المصريون عن استقلالهم ؟ وهل سيكون هد  
الدفاع ضد تولد أوربيه ؟ إن من غير المتوقع حدوث ذلك إلا بعد وقت  
طويل يكون قد تم في خلاله تنظيم جيش وطني قادر على رد الاعتداء  
أما إذا كان الاعتداء من جانب الترك أو المماليك فتعتقد أن الدول  
الأوربية لن تسمح بحدوث ذلك ومن جهة أخرى فإن المصريين  
يؤمنون أن يعتمدوا على قوات أجنبية لعمل لحسابهم يتراوح عددها بين  
١٠٠ ١٢٠٠ حتى يكفون تماما لصد الترك عند الصحراء  
وسحب المماليك داخل مصر ، وتكون هذه القوات في الوقت نفسه  
بإزاء الحبس الوطني . وما كان العثمانيون يفعلون أي شيء من أجل المال  
من أنسكى بنده لهم لردهم عن مصر . ولقد كان المماليك يستعملون  
هذا السلاح كلف وأروا سحب السياسة لتهددهم في القسطنطينية .

ويجيب ألا يهوما أن يذكر أن هذا المصدد أن المصريين مقسمون إلى  
عدة هوائف ، وأن هذا الانقسام من شأنه أن يساعد على دفع هذه  
القوائم بعضها ببعض من أجل حفظ التوازن بينها وللوفد المصري  
حالات هذه القوائم جميعا دون إعياز لواحدة منها على الأخرى .  
وهذه الصلات قائمة في الحفاء وسنظل خافية تماما عن الحكومة التركية  
في مصر . وهذه الخطة أمر لا بد منه تجاه حكم مستبد مترهب بالأس  
وس يترقى عن البطش بالأخوة دعاة الاستقلال والفتن بهم عن آخرهم  
إذا استطاع أن يكشفهم . ولقد استناع الدين هجرو مصر من هؤلاء  
الأخوة مع الجيش الفرنسي أن يتحدوا طغيان الترك ، ولكن الأمر ليس  
كذلك بالنسبة للأخوة الذين بقوا في مصر ، هؤلاء يعيشون تحت  
سيف ولعن ولا يمكن إلا إخفاء حقيقتهم والظهور بمظهر عبيد  
سلطان محضين

الشام وفي البحر الأحمر ؟

٦

إن مساعري المصريين نحو الفرنسيين ترجع إلى أساليب هؤلاء في  
الحكم في أثناء احتلالهم لمصر . وبست في حاجة إلى إعادة الكلام في  
هذا الموضوع ، إذ اعتقد أنكم يمكن أن تستفيدوا بسهولة ما دار بيننا  
من حديث حول . وعلى هذا فإن كل شيء ، بما في ذلك مشاعر  
المصريين تجاه الفرنسيين وما يمكن أن يشعروا به تجاه الإنجليز كعب  
لزدادت معرفتهم لهم ، يثبت أن مصر تستعمل من تكون إلا موالية  
لبريطانيا . ومن ثم فعل بريطانيا أن تعمل على استقلال مصر أو على  
الأقل أن تؤيد هذا الاستقلال بعد حدوثه . وذلك على ضوء ما هو  
متوقع من مصورات في مستقبل الأيام

٧

إذا عرضنا أن حكومات الدول الأوربية سمحت باستقلال مصر ،  
فكيف يحكم المصريون أنفسهم ؟ وكيف يدافعون عن استقلالهم ؟

أولا : لا يسمع الخيال في هذه المذكرات الضرورة على عمل بالدخول  
في تفاصيل مشروع الوفد المصري لحكم البلاد . ويمكن الآن أن  
نلاحظ أن قيام حكم الاستقلال لن يكون نتيجة انقلاب مبعث وعي أنه  
اضطرت فيها مختلف الآراء الفلسفية ، ولكنه سيكون نتيجة تغير  
جبرى تفرضه القوة القاهرة على قوم سلبين جهلاء يكادون لا يعرفون  
سوى عاطفتهم تحركات سلوكهم ، هما المصلحة والخوف . فإن  
استطاعت الحكومة الجديدة أن تسج على حياة الناس شيئا من الرخاء  
وأن تحمل على زيادة دعوهم ، وهو أمر ليس بالمعسر ، من المؤكد أنها  
ستنال تأييدهم بحماس . وكيف لا يكون الأمر كذلك وفي حكومة في  
العالم أفضل من الاستبداد التركي ، فلتكن الحكومة الجديدة إذا عادلة

والفرنسية ، أو شكاً منها في وجود دسيسة ما من دسائس فرنسا .

١١

لكن سهل مراسلتنا من فرنسا أو من غيرها يمكنك بإسبدي القبطان أن يرسل ما تريد إلى السجور الكونت انطون كاسيس ( قسيس ) المقيم في فرنسا ، وهو يقوم بتحويلها إلى حيث يقيم الوفد ، على أن يوضح ذلك بوضع اسمه تحت اسم على كل رسالة أما الرسائل التي قد توجه الي من إنجلترا ، فإن وصولها إلى باريس سوف يشيع أمره فتيسر عندئذ معرفه أين يقيم ، وهذا يمكن أن أتسلم رسائل حكومتكم بسهولة . ولكن نكرم الحيلة التامة فيما يتصل بهذه النقطة الأخيرة حتى لا تسرب أية شكوك إلى الحكومة الفرنسية .

ظهر السخية بالاس في ٢٦ سبتمبر ١٨٠١

- ٨ -

إن المصريين كافة ، والوفد المصري لدى الدول الأوروبية بوجه خاص ، سيبدلون كل ما في وسعهم من جهد ليحرروا أنفسهم بطريقة ما من الدبر الذي يتغل كاهل بلادهم النعمة . ولكن إذا حاب سحرهم وجاءت اتفاقيات الصبح العام بعكس ما يوعىون ، وشاء القدر أن يعود الترك إلى امتلاك هذه الأقاليم الجميلة الشهيرة وتعرضها بذلك لتجدد العدوان عليها ، فأقل ما يلتزمه المهاجرون المصريون من الدول المتعاقدة أن تكفل ضم من الصناعات ما يديروا عنهم شر انتقام للترك إذا ما عادوا لوطنهم

- ٩ -

بالرغم من أن الوفد المصري لا يعمل إلا من أجل تحقيق مشروع سياسي فيه جمع جميع الحكومات بما في ذلك الحكومة التركية ( وبالرغم مما يبدو من هراية هذا القول فيمكننا البرهنة على صحته ) ، فقد تعرض ظروف لابد منها من المحافظة على أسرار المفاوضات . ولذلك لهذا نرى هذا شعرة : يمكن استعمالها في مراسلاتنا إذا اقتضى الأمر ذلك

١

يرى الوفد المصري حرصاً منه على نجاح المفاوضات المرمية ضرورة كتمان أمر ما قاموا به من مقدمات لها ، وكذلك ما يمكن أن تبلغوه لصحاحه اللورد ، عن فرنسا وعن أي طرف يستطيع معرفتها . إن خطة الوفد أن يعمل في أوروبا على أن تكون فرنسا هي التي تبتزع بعض المقترحات الأولى على بريطانيا ، وتكون بريطانيا عندئذ قد اتضعت بما في مشروع الاستغلال المقترح من مزايا مؤزمه . وهذه الظريقة فإن الوفد المصري من يتعرض لأن يرى الحكومة الإنجليزية برفض المشروع بمجرد صحتها به بسبب العداء التقليدي بين الأنبيس الإنجليزية

١٢٦

هوامش

١) بعض الأميرال اللورد كيث إلى الفرنسيين موفد برقع الأمر في ١٨٠١

١٢٧

نصر ما برصاه ما من نظم عندما يعود الي من فرنسا .

إن هذا سوف يحدث بإقامة القنصل الأول إذا تفضلت — من أجل مجدك ومن أجل المصلحة السياسية للجمهورية الفرنسية — صددت يد المساعدة للمصريين الثغساء الذين وصعت عنهم من قبل «علاهم التي عادوا يبيعون بها من حديد ، وتكرمت فأحسن استقبال وكلائهم في باريس . إبتنا نأمل أن يكون استقبالنا في العاصمة الفرنسية ندبة اجتماع شرق يجدد لك ذكرى الفتح العظيم الذي إفاء الله به عليك ثم ضاع منك . ولابد أنك — ياسيدى القنصل الأول — شديد الإحساس بأن ما فقدت ، ولكنت إذا عملت في مهامات الصالح على أن تكون مصر مستقلة فسوف تعوض خسارتك فيها مائة مرة . إن هذه هي أماني التي أعدنا على أنفسنا عهدا بالسعي إلى تحقيقها

عن الوفد المصرى

وكيله

نمر القندى

حاشية . أعان الانكشارية<sup>(١)</sup> وعضو الوفد الذى سبق أن عرفه فحامة القنصل الأول في القاهرة يرحون أن أذكرك بأنه لم يسي ما عمرته به من عصف حيدلك

هو أمش

(١) بسمة الدرج هجرى من حسب الجداول القبطية — هو ١٥ جمادى الأولى  
(٢) من مشرع الأبنى المعروف ( ١٦٤ - ١٨٨٠ ق م ) الذى وضع لإيلاء هذه قوانين مبررها من قيود كثيرة

(٣) هو بيت الحال أما الأكاديمية الذى سبق ذكره عروجه من مصر مع جيش الفرنس ( انظر من ١١٠ )

## ب — من قسم المحفوظات ( الأرشيف ) بوزارة الخارجية الفرنسية

### ملحق رقم ( ٧ )

من ثمر القندى نيابة عن الوفد المصرى إلى القنصل الأول بونابرت إلى القنصل الأول للجمهورية الفرنسية من الوفد المصرى الذى يكس له أعظم التقدير

المحجر الصحى بمارسيليا في أول هديبير من السنة العاشرة للجمهورية ( ٢٣ سبتمبر ١٨٠١ ) ١٨ صفر ١٢١٦<sup>(١)</sup>

في قديم الزمان ، بان تلك العصور الموعودة في القسم ، عندما كانت فرنسا في حالة الفطرة تكسوها النوح والاعابات ، كانت مصر متحصنة مؤدعة ينهل مشرعو الإغريق من معين علمها ومعرفتها ثم دار الرماة دورته وشاء القدر أن يجد مصريو العصر الحاضر أجداد رواد احصارة في الماصى إلى فرنسا وهي تنعم بحكمث الرشيد ، ليتعرفوا على حضرة أمة بحورتها ويجمعوا على ما استعنته من وسائل لم تسبقها إليها أمة أخرى ، مكتتها — وهي الجمهورية الناشئة — من المحافظة على مكانتها بحرية عما سبته من نظم سياسية جديدة . . . وكما أن سولون (Solon)<sup>(٢)</sup> عاد عودته ببلاده من مصر شرع للإغريق ما اقتضيه من العظم المصرية ، بان «وفد المصرى الذى فوضه المصريون الباقون على ولائهم لك سيشرع

الإثيوبية . وإذا كان الملك قد أخفق في مسعاه ، فإن الجمهورية الفرنسية اليوم في ظل حكم القنصل الأول استطاعت أن تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية المطلقة الاستبدادية .

وإن الوفد المصري الذي ينوب عن الأمة المصرية لجسد وحده كل ما يحتلج في نفوس الذين أتابوه عنهم من شعور بالمصلحة المشتركة ، وما يحتلج في قلوبهم من أمان وما يملكون من فطنة وما يتمتعون به من نفوذ وثروة . وهو يعبر عما أجمعوا عليه بما يمثل في رغبتي : الأول هي القضاء على القوة الغشوم التي عادت تستبد بهم من جديد ، والثانية هي وضع تقنهم في فرنسا ليقينهم أن مصلحة الجمهورية الفرنسية ذاتها تقتضي ألا تحجب أملهم . وبناء على ذلك فنحن نقدم إلى سعادة الوزير باقراج : لقد تكبدت فرنسا في الشرق خسارة جسيمة ، فلم لا تتخذ من هذا الوفد وسيلة لتعويض ما خسره ؟ إنك إذا تفضلت قدحوت الوفد إلى لثالث في باريس قبل توقيع الاتفاق التمهيدى مع بريطانيا ، فإننا نستطيع أن نؤكد لك أن فرنسا سوف تحتفظ بنفوذها السياسى في الشرق ونحميه مما قد يفقدها إياه زمنا طويلا نتيجة للجلاء عن مصر وما تطور إليه أمرها الآن ، ونتيجة لمؤامرات الدول التي تخشى بحق زيادة نفوذ فرنسا . بل نستطيع أكثر من ذلك أن نتأكد أن فرنسا - إذا أرادت - يمكنها عن طريق الأمة المصرية التي ستكون موالية لها مد نفوذها نحو أواسط أفريقيا . وهكذا يتحول ترككم مصر للإنجليز من نكبة إلى سبب تجد القنصل الأول ومصدر رفاهية للأقاليم الفرنسية في الجنوب .

ولا يرى الوفد المصري في الوقت الحال داعيا للإطالة . فهو يستطيع في جلسة واحدة في باريس أن يوضح مقاصده بما لا يستطيع في حشرين مذكرة مكتوبة . ونحن العرب نقدر في الحديث على التعبير عما نريد ، وإن كنا في الكتابة قد لا نستطيع أن نبلغ الغاية في يسر . وبالإضافة إلى

## ملحق رقم ( ٨ )

من عمر الفندى إلى وزير الخارجية الفرنسية ( تاليران )

( تاريخ الملحق السابق نفسه )

سببط إلى موالىء الجمهورية الفرنسية عدد كبير من المهاجرين الشرقيين الذين غادروا بلادهم مع قوات جيش الشرق التي تم جلاؤها عن مصر . والوفد المصري ، بالرغم من أنه فقد رئيسه الجنرال يعقوب الذى قضى نحبه في أثناء السفر ، يعلن كل ما يشعر به من ولاء وتقدير للجمهورية الفرنسية ويرى من الضروري أن يلجأ إليك ياسعادة الوزير لتفضل وتضعه هو وأولئك المهاجرين تحت رعايتك وتسلمهم بكرمك وعنايتك .

لقد كان لويس الرابع عشر يعمل في الظاهر على ضم كنيسة إثيوبيا إلى الكنيسة الرومانية ( الكاثوليكية ) ، ولكنه كان يسعى في الحقيقة لم تفردة السياسى نحو أقاليم وسط أفريقيا الجبلية الغامضة . ومن ثم بذل عدة جهود لم يقدر قا النجاح لكي يتعلم في فرنسا عدد من شباب القبط المصريين ، لأن بطريرك الأقباط هو نفسه رأس الكنيسة

## مصادر البحث

هنا فتحن مذكرون لما تفرضه علينا كثرة مشاغلك السياسية من ضرورة الإيجاز في الرسائل . إننا نرجو التفضل بالرد على كتابنا هذا ، وأن تسمح لنا إذا تكرمت باستقبالنا في باريس أن نقابلك بزينا الشرق . فالمسلمون منا بالذات ليس من اليسير عليهم تغيير ربحهم ، ثم إن هذه الأزياء الشرقية قد تذكر فخامة الفصل الأول بفتوحه السابقة وترضى حب الاستطلاع لدى من لم يتبعوه للشرق .

إن الوفد المصرى يعلم تماما أن وقت الفصل الأول ، الذى يدبر بنفسه شؤون الحكم حتى فى أدق جزئياتها وتنعم الدولة برعايته ، آمن من أن يتفقه فى التتبع بقراءة ما يرد إليه من الرسائل الخاصة . ولكننا نرجوه أن يقدر أن وقدنا بفرد بطبيعة خاصة ، وأنه يصل إلى فرنسا فى ظروف معينة ، وأن كتابنا له المرفق بهذا له أهميته ، فيتفضل بتسلمه وينعم النظر فيه بحكمته العميقة .

## ب - المراجع غير العربية

- 1 - Douan George, L'Egypte Independente. Le Caire, 1924.
- 2 - Homsy, Gaston, Le Général Jacob et L'Expédition de Bonaparte en Egypte, Marscille, 1921.
- 3 - La Jonquière ,C. De, L'Expédition d' Egypte (1798-1801), Paris, 1899-1907.
- 4 - Rigault, Le général Abdallah Menou et la Dernière Phase de L'Expédition d'Egypte (1799-1801), Paris, 1911.
- 5 - Rousseau, M.F., Kléber et Menou en Egypte depuis le Départ de Bonaparte, Paris, 1900.

## ج - الوثائق

١ - وثائق وزارة الخارجية البريطانية : تركيا

٢ - وثائق وزارة الخارجية الفرنسية : تركيا ، مراسلات

٣ - - وثائق وزارة الدفاع الفرنسية : جيش الشرق

## أ - المراجع العربية

- ١ - حاك تاجر ، حوكمة التريجة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .
- ٢ - وهاب حبيب ، صدر من تاريخ القبط ، رسالة مار مينا الراهبة ، مطبوعات جمعية مار مينا العجائبي ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- ٣ - شفيق غربال ، الجنرال بعقوب والفاروس لاسكازيس ومشروع استقلال مصر في سنة ١٨٠٩ ، القاهرة ، ١٩٢٢ .
- ٤ - عبد الرحمن الجبري ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، أجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٧ هـ .
- ٥ - لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث ، جزآن ، كتاب الهلال ، المجلدات ٢١٥ و ٢١٧ ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- ٦ - محمد نؤاد شكرى ، الحملة الفرنسية وظهور محمد على ،

# فهرست

|     |                         |
|-----|-------------------------|
| ۵   | مقدمة                   |
| ۷   | تجهيز                   |
| ۹   | أقباط مصر               |
| ۱۳  | الفرنسيون والأقباط      |
| ۱۷  | المعلم يعقوب حنا        |
| ۲۳  | في عهد كليبر            |
| ۲۵  | يعقوب قائد عسكريا       |
| ۳۳  | في عهد منو              |
| ۳۷  | قصيدة نثر عصماء         |
| ۴۵  | نهاية الحملة .. والرحيل |
| ۵۳  | قصة مشروع الاستقلال     |
| ۵۹  | سرحية بحرية             |
| ۷۵  | نهاية الأحداث           |
| ۷۹  | وبعد ...                |
| ۸۵  | المملوك العميل          |
| ۹۹  | ملاحق                   |
| ۱۳۵ | مصادر البحث             |